THE BOOK WAS DRENCHED

190109

ادباء حلب

ذوو الاثر

في القرن التاسع عشر

تأليف

قسطاكي الحمصي

طبع بنفقة مؤلفه في المطبعة المارونية بحلب

سنة ١٩٢٥

*

طبعت منها مئتي نسخة فقط

تذكاراً خالداً لاسم الجوهرة العادمة المثـال ، عاشق العلم وشعلة الذكاء والفهم ، قسيم البدر في طلعته وكماله ، مالك فؤادي المأسوف عليه ابد الدهر حفيدي العزيز هنري ألبير حمصي

تموز سنة ١٩٢٣ قسطاكي الحمصي



*

المقدمــة

انا لم نتعمد في هذه الرسالة الا ذكر ادبآء القرن التاسع عشر من الحلبيين ، اي من كان له شعر معروف او وصل الينا شيء من شعره ، وكذلك من كانت له مشاركة في طائفة من العلوم وآثار مشهورة ، ولم نتعرض لترجمات الفقهآء وعلمآء علم بعينه كالنحو والطب

ولا بدَّ لنا من التصريح باننا كتبنا هذه الترجمات ، دون ان نقف على شيء منهــا لاحد الكتَّاب ، ثم جاءَنا كتاب احد العلمآء من خلاننا المخلصين ينبّهنا على ان بعض من ترجمنا عليهم نُشرت لهم ترجمات في بعض المجلات قبل صنيعنا هذا ، واذ كنا لم نأخذ عنها شيئاً كما ذكرنا ، ولكنها كان لها السبق الى نشر ما نشرته ، رأينا ان نعترف بفضل المتقدم ، كما اننا لم نكتم عن المطالع ما اقتضبناه من ترجمــة الشيخ الحوراني عن مجلة المقتبس حسبما سيرد بعد هذا ، وكما سنشير الى ما التقطناهُ من بعض الافاضل في محله من هذه الترجمات

حلب في ٢٣ شباط سنة ١٩٢٥

فهرست ترجمات الكتاب

القسم الثاني

ثمنه عشرون غرشاً مصرياً ويُطلب من مكتبة العصر الجديد لاصحابها
لسادات قسطون اخوان وشركاهم بحلب

١ نصر الله الطرابلسي

هو نصر الله بن فتح الله بن بشارة المشهور بالطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٨٠ وكان وجيهاً ذكياً مقدما جميل الوجه مليح القوام حسن البزة وكان معجباً بنفسه حتى كثر اعداؤه وكان مختصاً بقنصلية فرنسا بحلب وقيل انه كان نكاثاً، وسار عن حلب عقيب نكبة اصابته كاد يهلك بسببها ثم اكتفى الحاكم بسجنه وتغريمه ضريبة فقد بها كل ما ملك حتى عجز عن اداء باقيها فرفده جد هذا العاجز لامه عبد الله الدلال احد صدور حلب بمال وفى به ما عليه وستر خلته كما حدثنا بذلك المرحوم الخال جبرائيل فمدحه بقصيدة سيأتي ذكرها ولما تخلص من السجن فارق حلب سنة ١٨٢٤ وورد مصر واتصل بحبيب البحري من بيت مجد فيها وكان هذا رئيس ديوان الكتاب في حكومة محمد علي باشا فاكرمه وعين له وظيفة في ديوانه واجرى عليه رزقاً حسنت به حاله واصبح من المقدمين عنده، ثم اتُّهم في اخلاصه وحسن طويته فنكب ثانية ولازم بيته الى آخر حياته فمات مهملا كئيباً وفيما يظن انه مات في حدود سنة ١٨٤٠

وله شعر كثير غير مجموع ولا مهذب وفيه الغث والسمين قال في مطلع قصيدة يمدح بها جوزيف لويس روسو وكان قنصلا لفرنسا في حلب

لك الله من ظبي غدا يقنص الاسدا
أجهلاً رميت الصب باللحظ ام عمدا

وقال يمدح الامبراطور نابوليون الاول ويهنئه بولد ولي عهده سنة ١٨١١

ورد البشير فسرت الاقطارُ وترنمت في دوحها الاطيارُ

ومنها :

يا ايها الملك الذي دانت له الا دنيا وقد خضعت له الاقدار

افخر على كل الملوك على بما اعطاك ربك واحد قهار

ومنها :

عميت بصائرهم فلما يعلموا ان البسيطة كلها لك دار

لا تستقر على الدوام بموضع هل يستقر الكوكب السيار

ومن قصيدة اخرى

أعيدي زورة المضنى أعيدي فليل الوصل عندي يوم عيدِ

مؤانسة النفار جمعت فيه امالك عن صدود من صدود

وقال يمدح عبدالله الدلال

يا للهوى ما للعذول ومالي انا قد رضيت بكافة الاحوال

يلحو ولا يدري ايقبل عاشقٌ صمت مسامعه عن العذال

ومنها :

ان ارخصتني الحادثات فان لي فضلاً على رغم الاعادي غالي

ومنها :

واذا اقتضاك الدهر تقصد ماجداً ذا همة فعليك بالمفضالِ

الندب عبد الله فخر اوانه نسل الاماجد من بني الدلال

فهو الذي يشري الثناء بماله ويزين الاقوال بالافعال

وهو الذي لم يخل قط زمانه   من غوث ملهوف و بذل نوال

*

* *

٢ ﴿ الشيخ حسين الغزّي ﴾

ولد في مدينة غزة سنة ١٢٣٥ هـ ١٨١٩ م ودرس فيها ثم قصد الجامع الازهر بمصر ثم انتقل الى مدينة طرابلس ولما اشتهر فضله وكانت يومئذ طلب في حاجة الى عالم كبير، دعاه احد وجهاء حلب اليها و بنى له مدرسة في جامع السيّافية بها وظل يدرّس و يكثر مريدوه وطلاب العلم حوله الى ان ادركته الوفاة سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

وكان اماماً في علوم الشريعة والحديث والمنطق واللغة والادب حسن البيان، بصيراً باساليب التعليم، تخرّج عليه كثير من العلماء وله شعر كثير قال في مطلع قصيدة

قلب يجدّ به الغرام و يعبث   ويميته الحب المبيد و يبعث
انا في هواه شجٍ اجوب حزونه   سيراً فها انا فيه اغبر اشعث

ومن قصيدة اخرى

كفّ الحاظك المراض الصحاحا   لست اقوى ولا اطيق السلاحا
ليت شعري ما كان ذنبي حتى   ادخلتني سود العيون الجراحا

وله قصيدة بميلاد ابنه صديقنا الاعز الشيخ كامل الآتي الذكر يقول في مطلعها :

كم لفضل الاله من بعد يأس نعمٌ اذهبت همومي وبؤسي

وبمسك ختامها يؤرخ مولد المومى اليه بقوله

وصلاةٌ على محمدٍ الهـادي وآلٍ ما طاب تاريخ غرسي
١٢٧٠

وعلى الجملة فشعره كشعر كثير من العلماء

٣ انطون الصقال

هو انطون بن ميخائيل الصقال ولد في حلب سنة ١٨٢٤ وتوفي بها سنة ١٨٨٥

علم من اعلام حلب ، وامام من ائمة الادب ، يملأ الدلو الى عقد الكرب درس في مدرسة عين ورقة من لبنان واتقن بها العربية والسريانية ثم درس التركية والانكليزية وكان يكتب بهما وكان مليح الطلعة ربعة القوام وقوراً ، قليل المزاح ، شديداً على خصمه حازماً ، ثابت العزم ، جريئاً ابياً جميع الرأي ، صناع اليدين حسن الخط مليح الصوت ، فصيح الكلام ولوعاً بالموسيقى يضرب بمختلف آلاتها وله كتاب ربط فيه كثيراً من الاغاني شبيه بكتب الخطوط والانغام الموسيقية الفرنجية (كتب النوطه)

وكانت له مشاركة في العلوم الطبيعية والرياضية ، اقام في مدينة مالطه مدة يصحح الكتب العربية في مطبعتها ويدرس العربية في احدى مدارسها وفيها ولد له صديقنا الابر ميخائيل الصقال الآتي الذكر ، ودخل في الجيش

الانكليزي ترجمانا في حرب القرم ثم عاد الى حلب وتوفي فيها كما تقدم وله كتاب الاسهم النارية وهو رواية ضمنّها بعض الوقائع الحلبية ، وله رواية اخرى لم يصلنا اسمها وديوان شعر ولم يطبع من ذلك شيء ، وله مقالات بالجرائد والمجلات باسم مستعار ، وكانت بينه وبين فرنسيس المراش ونصر الله الدلال وغيرهما من فضلاء معاصريه مجالسات ومطارحات ومدائح قال يمدح صديقه نصر الله الدلال خال كاتب هذه الرسالة وهي من محاسن شعره :

طاوعت فيه صبابتي فعصاني ... وقليت فيه معنفي فسلاني
ما كنت ادري العشق يفعل بالفتى ... فعل النسيم باهيف الاغصان

ومنها :

مالي وللعذال لا سلمت لهم ... عللٌ تقوم بفاسد البرهان
فالدهر ميدان به دول النهى ... تجري مع البرهان جري رهان

ومنها في المدح

شهم اذا ما استل سيف يراعه ... شمتَ الضلال يخر للاذقان
ان يرضَ للعليا الرضى فلطالما ... نزلت اليه تود منه تداني

ومن قصيدة اخرى

عسى للجفا عهد فيرجى انصرامه ... فان رضيع الحب صعبٌ فطامه
وهل بعد ذاك الصد كف لمدمع ... لقد طال في تلك الطلول انسجامه
وهل ذلك الوجه المنير بعيدنا ... على كمد ام ظل يزهو ابتسامه

وله قصيدة قافيتها عين على تعدد معانيها عند العرب وقد بعث بها الى بيربعض اصحابه في وت قال في مطلعها

اهيل الحمى تصبو لمرآكم عيني فحتى مَ تبغون التجافي عَلَى عين
حفظت لكم وداً عَلَى القرب والنوى ولكنكم ما زلتم اصدقا عين

ومنها : .

سقى الله يوم الحرش ما كان عهده سوى حُلُم قد مرَّ في تلكم العين

ومنها :

يكلفني السلوان عنه وما ردى بأني فيه لا اميل الى العينِ

وجملة شعره مهذب عَلَى هذا النحو

٤ رزق الله حسون

هو رزق الله بن نعمة الله حسون ولد في جلب سنة ١٨٢٥ وتوفي في لندن نحو سنة ١٨٨٠

كاتب تصرف في الشعر والانشاء ، كما يتصرف بالعبيد الامراء ، اطال واوجز ، واختصر واعجز ، شن عَلَى الحكومة التركية بقلمه غارة شعواء ، وقضى بعيداً عن بلاده وفي نفسه منها اشياء .

درس في مدرسة دير بزمار بلبنان ثم قصد القسطنطينية واتصل بفؤاد باشا الوزير المشهور الى ان جاء هذا سوريا سنة ١٨٦٠ في الخطب المعروف بحادثة الشام فاصطحبه وقلده ترجمة اوامره فيها الى العربية ثم عاد معه الى القسطنطينية فقلده نظارة مكس الدخان (التبغ) فاتهم بنقص فاحش في مال خزينتها ووشي به فسجن ثم هرب من السجن و بعد ان قصد كثيراً من البلاد التى عصا الترحال في مدينة لندن

وكان متبحراً في العربية وسائر فنونها ، مطلعاً على اخبار العرب راوياً لاشعارها ، لا يرضيه غير شعر جاهليتها ، وكان يجيز لنفسه ما ورد في شعرها من الزحافات والسنادات، وسائر عيوب الشعر التي جمعها الخليل وتحاماها الشعراء من بعده ، وله شعر كثير فيه شيء وافر من ذلك وقد طبع منه اشعر الشعر وهو ستة اسفار من التوراة نظمها واحسن في بعضها كل الاحسان وله رسالة سماها النفثات عربها نظماً ونثراً عن كريكوف شاعر الصقالبة وهي حكم مروية على السن الطير والبهائم شبيهة بكليلة ودمنة ، وفي بعضها من حسن السبك والانسجام ما جرى على السنة قرائها في العربية مجرى الامثال كقوله في ختام القصيدة المعنونة بشركة الاربعة المتفقة

انى اشتهيتم فكونوا الجالسين فما
على يديكم تأتت نغمة الطرب

ومن نظمه يتشوق الى ولده ألبير في جزيرة الامراء بالقسطنطينية

نفحات الشمال حيّ الجزيرة حيّ ألبير واستزيدي سروره
راح يمرح في الرياض وطوراً كغزال البقاع يبدي نفوره
شبهُهُ ليس في بني الناس لكن في الملائك صورة وسريره
نزل الحسن والبهاء عليه خالق الحسن آية مشهورة
قد تخيلته بفكري وقلبي نازع يجتلي على البعد نوره
حجبوني في حجرة وحموا عن مقلتي ان يزورني او ازوره
يا صبياً على حداثة سنٍ يكتم السر لا يزيح ستوره
ارقد الليل فوق صدري من عكس الضياء على محياك صوره

ما تأملتها بكيت التياعاً ضارعاً ان تراك عيني قريره

وله ايضاً من السجن يستعطف فؤاد باشا

فؤاد هذا الملك عطفاً على غرسك يذوي في شقا محنته

ان لم تغث عبدك من ذا الذي يحميه او ينجيه من نكبته

ومنها :

ارحم عبيداً لك واستبقه للولد المحبوب من مهجته

فوالذي حقق ظني بما ارجو من الانصاف او رحمته

امسيت في الحبس كفرخ القطا من كرب الحزن ومن شدته

وكان اشعر ما يكون اذا تعرض للهجاء ، وكان بصيراً بنقد اغلاط سواه كما ظهر مما كتبه في الرد على العلامة احمد فارس وسواه ، على انه مع رسوخ قدمه في معرفة اللغة وشواردها وادابها ووقوفه على كثير من نوادر كتبها في العلم والشعر ونسخه كثيراً منها من جوامع القسطنطينية ومكاتب اوروبا قد بدرت من قلمه في الشعر والنثر هفوات كثيرة كقوله في جمع المغارة مغائر بدل مغاور وكقوله خصم الحساب بمعنى قطع الحساب ولعل لفظ حسم اقرب الى المعنى وهي عامية . وكل ذلك عجيب وقوعه من قلمه مع رسوخه في علوم اللغة كما ذكرنا

ثم لما امتدت به النكبة القى عصا الترحال في بلد لندن ، واكثر ما وصل الينا من شعره ونثره كان مما كتبه فيه ، وكأنه لما يئس من العود الى بلاده اعاد نشر جريدته مرآة الاحوال وكان نشرها في القسطنطينية مدة وكان يكتبها في لندن بخطه الحسن ويطبعها على الحجر على ورق صقيل رقيق جداً ثم يبعث بها في البريد في غُلُف مختومة الى اطراف

الارض وفيها من الفصول الشائقة ومقالات الانتقاد علَى سياسة الحكومة العثمانية يومئذ والتنديد برجالها والتشنيع علَى جور عمالها وطرق ارتكابهم في مظالمهم ما ايقظ الجفون وحرك السكون ولم يزل ينشرها حتى ادركته المنون . ومما يروى له هذان البيتان

قدر الله ان اموت غريبا في بلاد اساق كرهاً اليها
وبقلبي مخبآت معان نزلت آية الحجاب عليها

وقال لي بعض الادباء انه رآهما في كتاب من كتب الادب لشاعر قديم وقد صح ذلك بشهادة غير واحد من الادباء فكأنه تمثل بهما مرة فظن راويهما عنه انهما له .

٥ جرائيل الدلال

هو خال كاتب هذه الرسالة ، وكان اقرب الاهل اليه واعزهم لديه ، أختصر ترجمته هنا عما ورد في السحر الحلال في شعر الدلال لكاتب هذه الرسالة

ولد جبرائيل عبد الله الدلال بحلب في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ وتوفي بها في ٢٤ من كانون الاول سنة ١٨٩٢

علم من اعلام الفضل وبدر من بدور الشهباء ، بل انسان عين الظرف والنبل وآية النباهة والذكاء . تفجرت ينابيع الفصاحة علَى لسانه ، وانقادت ابكار المعاني طائعة لبنانه . فاللؤلؤ منظومه ، والوشي مرقومه ، ذو فكرة تسترق حر الكلام ، وقريحة تؤلف بدائع النظام ، وبيان يصور ادق الاوهام للافهام فتنجلي كالحقائق ، ويصوغ الطف التخيلات والاشارات بكل لفظ رائق ،

سقاه الدهر كأسي صفوه وكدره ، والبسه ثوبي بؤسه واشره ، وما زال بين نحوس وسعود ، وهبوط وصعود ، الى ان دعاه داعي المنون ، فقضى فجأة في اضيق السجون ·

وهو سليل بيت كريم من اعرق بيوتات حلب في العز والجاه ، فنشأ في بيت ابيه عبد الله الدلال ومجلسه اذ ذاك منتدى الفضلاء ومثابة النبلاء يقصده ادباء الوقت وشعراؤه كفتح الله المراش والد فرنسيس وعبد الله والست مريانا المشهورين ، ونصر الله الطرابلسي الحلبي المتقدم الذكر ، وكان والد صاحب الترجمة يحب العلم وبنيه ، ويكرم الادب وذويه · ·

وكان المترجم له عارفاً بالفرنسوية والطليانية والتركية ، يكتب بها جميعاً ولا سيما الفرنسوية : فانه كان كواحد من ادبائها ، اما العربية وعلومها ، فكان نابغة من نوابغها ، وكانت له مشاركة في اكثر العلوم والفنون العصرية ودرس قليلا فن التصوير فاصاب شيئاً منه ، وكان شديد الولوع بالغناء ، عارفاً بفن الموسيقى متمكناً من علمي الجغرافية والتاريخ وله رسالة في التاريخ العام غير كاملة ، وكان يحرز حصة حسنة من العلوم الرياضية والفلسفة والطب فكان صدره اشبه بخزانة علوم وفنون ·

وكان طيب الحديث لسناً فصيحاً شاعراً متفنناً حاد الذهن سريع التصور حلو العشرة لطيف الشمائل خفيف الروح ، صحيح الانتقاد سريعه يميل الى المزاح ، جهير الصوت ، طويل القامة ، كبير الجسم ممتلئه كأنه الموصوف بقول الشاعر

جهير الكلام جهير العطاس ... جهيرُ الرواء جهير النغم
ويخطو على الأين خطوَ الظليم ... ويعلو الرجال بخلق عمم

وكان قوي البنية ، ابيض اللون ، صبيح الوجه ، كبير الرأس ، اشقر الشعر ، ازرق العينين ، احسر البصر لاتفارق الزجاجات عينيه الا عند القرأة والنوم ، وكان الغالب عَلَى طباعه سلامة الصدر ، وكثرة الوفاء ، وحرية الفكر وبالجملة فقد كان جميل الطلعة ، جليل المنظر ، عزيز المقام ، موقراً لدى خاصة الناس وعامتهم .

طاف في كثير من الاقطار بين آسيا واروبا وافريقيا ، وشعرهُ كثير لكنه لم يكن يعني بجمعه ، وقد جمعنا له منه حصة يسيرة في رسالة ترجمناه فيها وعنوانها السحر الحلال في شعر الدلال وطبعناها في مصر سنة ١٩٠٣ فمن ذلك قوله

يا من اقتل الشجي تعمد وزاد دلاً جفاهُ والصد
مهلاً خف الله في محب فوأدُه بالغرام يوقد

ومنها :

بالله يا مقلتيه رفقاً مضنا كما قد تجاوز الحد
وانتما يا نهديه صدري عليكما حسرة تنهّد

ومن قصيدة

لا تعذل المشتاق في احواله فتزيده شوقاً بحب غزاله
صبٌ كئيب مغرم لا تنتفي اوقات طيب الوصل من اماله
يحيا بتذكار الحبيب ووصله ويموت بين دلاله وملاله

وقال في باريز يتشوق الى حلب

حيّا الحيا تلك المغاني الفساح كم في فناها هام صب فساح

ومنها :

هيجه ذكر زمان مضى ساعده السعد به والنجاح
وطيبُ وقتٍ مر مع ظبية في وجنتيها للحياء اتقاح
ومجلس زاه تغنت بـه بلابل تطربنا بالصياح
ايام وصل نتعاطى بهـا من خمرة الحب كؤوساً طفاح
في ظل روض حجبت شمسه غبوقه يدعو الى الاصطباح
أن به الرعد فابكى الحيا وردد القمريُّ شجواً وناح

ومنها :

قمنا وحسن الظن اجرى بنا لحرمة العشاق لا تستباح
اوقات انس كنت وآحسرتي خلواً بها اسحبُ ذيل المراح

ومنها :

هـذا وصحبي ذكرهم خالد في خلدي لم يمحه قطُّ ماح
فهل ترى يرجع ما مرَّ لي معكم من اللذات والانشراح

ومن صدر قصيدة بعث بها الى صديقه فرنسيس المراش المشهور الآتي الذكر

لي النجم في ليل اقاسيه شاهد باني مشوق ساهر الطرف ساهد

ومنها :

وجاد الحيا تلك الربوع واهلها فهم لي من الدنيا المنى والمقاصد
مواطن عزي والشبيبة والصفا مناهل انس قد صفت وموارد

ومنها :

فيا ايها المراش من انت بينهم عشير الصبا الخل الوفيّ المساعد

اندري بما قلبي يجن من الولا   وما كبدى شوقاً اليك تكابد

وكتب اليّ في صبح يوم رقت حواشيه وطاب الصبوح فيه .

يا من بمرآه وطيب حديثه تجلى غمومي
يا مؤنسي عند اللقا ء وبهجتي عند القدوم
يا فرع دوح المكرما ت الغرّ والفخر الجسيم
من محتد العز الوسيم ومنبت الاصل الكريم

ومنها :

يا نور عيني يا حبيبي يا جليسي يا نديمي
مجل الشقيقة ان هذا اليوم معتل النسيم
نسجت به ايدي الصبا للشمس ستراً من غيوم

ومنها :

فانهض لنغتنم السرور بطردنا جيش الهموم
واترك فلاسفة القرون تخوض بالبحث السديمي
وتقول اصل الناس من طين ومن فردٍ ذميم

ومنها :

دع عنك اجهاد القريحة في مطارحة العلوم
فالى م نهمل راحة الا رواح في تعب الجسوم

وله موشح

اذاع ستراً اصونه سقمي   وما جرى قط ذكره بفمي
واعبني فصحت وقد فضحت   ما في فوأدي من لوعة الالم
فيظهر وهو لا يقال   ويُذكر دون ما سوأل

صبري كصدر من الجوى حرج فان ابح ما عليَّ من حَرَج
ونار هجر الحبيب ان لفحت تطفى بدمع يفيض كاللجج
اذا مر طيفه ومال وزوّرَ زورةَ الخيال

ومنه :

قوامك الغصُ زين بالهيف وجسمك البضُ خص بالترف
وغرة الحسن فيك ما برحت تثنيك تيها بالعجب والصلفِ
تبختره وآزه بالجمال فما ضرّ لطفك الدلال

وبهذا القدر من قلائده كفايـة

(وجملة خبر سجنه انه كان الّف في حداثتـه قصيدة سماهـا العرش والهيكل طبعت في مرسيليا وقد طعن فيها اشد الطعن عَلَى الملوك المستبدين فوشى بذلك عارف باشا والي حلب وناظم بك كاتم سره يومئذ (مكتوبجي) لعبارةٍ نُقلت اليها عَلَى لسانه نقلاهـا عَلَى المترجمَ له ، ولم تكد تصل هذه الوشاية قصر السلطان عبد الحميد الظالم حتى صدر امره بالسلك البرقي بسجنه) فقضى فيه عامين كانا عار الزمن اللئيم ، وعيب العصر السقيم ، قضى في ختامهما فجأة بداء القلب في صبح الرابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٩٢ عن ستة وخمسين عاماً زجاها بين اسفار مستمرة واحوال مرة وهموم مستقرة وهو يقاوم امواج الخطوب ، يلاقي اعصار الكروب ، وسفينة حظه تعوم فتتقهقر ، وخطواتـه الى المعالي تكاد في الهواء تتعثر ، وسهمه يطيش فلا يصيب ، وقد اطرب نعيب الغربان وما اطرب هذا العندليب ، فسبحان ميسر البخوت ورافع القنوت ، ولما ذاع في المدينة نعيُه ، واظلم ذلك اليوم واكفهرّ عشيُه ، تقاطر آله واصحابـه

ونقلوه على عربة الى منزله والاداب تبكي وتعول عليه ، والقريض يندب و يولول حواليه ، وقد اندك للمكارم طود من ارفع الاطواد ، وتقوض للعلوم دعما واي عماد وهوى نجم الفصاحة اللامع وغار بدر المعارف الساطع

٦ عبد الله المراش

لا نجد بداً من نقل ما كتبه علامة العصر الاخ الحبيب الشيخ ابرهيم اليازجي في ضياء السنة الثانية عند اخذه نعيه :

« ورد علينا من انباء مرسيليا ما شق عَلَى المسامع والقلوب ، وتلقته الصدور بالانقباض والجباه بالقطوب ، الا وهو نعي وطنينا العالم النحرير المحقق ، والكاتب البليغ المتأنق ، المرحوم عبد الله المراش الشهير احد نوابغ العصر الحالي ، بل احد كواكب الشرق الذي حسدنا عليه الغرب فاستأثرنا به في اخرى الليالي

ودونك ما قاله في ترجمته : هو الطيب الذكر عبد الله بن فتح الله المراش وشقيق المرحوم فرنسيس المراش الشاعر الكاتب المشهور من اسرة عريقة في الفضل والوجاهة معروفة بالعلم والادب ولد في حلب في ١٤ ايار سنة ١٨٣٩ ونشأ بها وتأدب عَلَى والده وغيره فتلقى في حداثته مبادئ علوم العربية والخط والحساب ، ثم دخل في اعمال التجارة فتخرج في فنونها ولما بدت نجابته فيها انتدبه جماعة من جلة تجار حلب لعقد شركة تجارية ينشئ لها محلا في منشستر من بلاد الانكليز ، فسافر اليها في سنة ١٨٦١ ولبث بها الى سنة ١٨٦٩ واشتهر بما كان عليه من الامانة والدراية فكان له مقام محمود بين معامليه .. الى ان قال ثم انتقل سنة ١٨٧٠ الى باريس

فلبث بها الى سنة ١٨٨٢ و بعد ذلك فارقها الى مرسيليا والقى بها عصاه ولم يزل مقيما بها الى ان توفاه الله في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ·

الى ان يقول :

على انه كان على حظ من الدنيا بلغ به مبلغ ارضى وهو الغنى كله ، فلم يكن بعد ذلك يحرص على حشد الدينار ، ولا يعاني الكسب ، ولكنه انصرف الى المطالعة والتوسع في العلم ، وهو ما لم ينقطع عنه قط مع اشتغاله بالتجارة ايضاً · فانه كان كثير الاختلاف الى مكاتب لندرا و باريز يتصفح ما فيها من الاسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطية منها ، فادرك حظا وافرا من لغة العرب وتواريخهم وادابهم وانتسخ منها عدة كتب عزيزة ورسائل اخرى كلها من غرر اثار الاقدمين ونوادر تآليفهم ، انتسخها بخطه مع العناية والتدقيق في مقابلتها وتصحيحها ، وكان مليح الخط نقي الرفعة كثير التأنق كاكثر خطاطي حلب · ·

وكان رحمه الله من اكابر اهل الانشاء حسن الترسل سهل العبارة واضح الاسلوب ، بصيراً باختيار الالفاظ والتراكيب ، حسن النقد ، حريصاً على البلاغة ووضوح المعاني ، آخذاً بالنصيب الاوفر من قوالب فصحاء العرب ، والفاظ الخاصة من اهل الادب ، وكان مع ذلك متقنا اللغة الانكليزية والفرنسوية والطليانية ، يكتب فيهن جميعاً ، وكان له باع طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاخلاق والاديان والشرائع المختلفة ، مشاركا في كثير من علوم المعاصرين كالطبيعيات والهيئة وسائر الفنون الرياضية ، وكان بصيراً بالسياسة مطلعاً على اسرارها ودقائقها ، وله في كل ذلك مقالات ورسائل شتى ، منها ما هو باق بخطه ، ومنها ما نشر في بعض الجرائد العربية

في لندرا و باريز وجرائد ومجلات القطر المصري

• واما صفاته الشخصية فقد كان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض اللون طلق المحيا فصيح اللسان مهذب المنطق واسع الرواية لطيف المحاضرة وقد اتيح لنا لقاؤه عند مرورنا في مرسيليا في اواخر سنة ١٨٩٥ وهو في نحو السابعة والخمسين من عمره وقد عمه الشيب وانضجته السن والتجربة ، فالفينا فيه رجلا جليل القدر كامل الصفات ، قد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس واريحية العرب ، وكان علَى اعظم جانب من الزهد وخفض الجناح بعيدًا عن الزهو والخيلاء ، منزهاً عن الدعوى والكبر حتى انه مع سعة فضله ورسوخ قدمه في العلم والانشاء ، واجماع المطالعين علَى استحسان كلامه كان يتفادى من ذكر اسمه في اكثر ما كتبه وما طبع له ويشترط ذلك علَى كل من يروم نشر شيء من اثاره ، وهذا ولا جرم من عنوان تمام فضله وتناهيه في الكمالات الانسانية . اه

هذا ما رأينا اختصاره عن الضياء

واول عهدنا به في باريز ، وكان يستنفر الاربعين وكنا نستقبل العشرين ، ومنذ يومئذ اتصلت بيننا مراسلة لم يزدها مر السنين الا تمكين ود واخلاص ، الى ان قدر لنا الاجتماع ثانية في مرسيليا في اواخر سنة ١٨٩٢ واوائل سنة ١٨٩٣ وظللنا بها اشهراً ولم نكن نخلو يوماً من الاجتماع بـه والتمتع بمحادثته وحلو عشرته ، وكان اذا استبطأ قدومنا اليه اسرع الى منزلنا وكان يعلم ما بيننا و بين الاخ الحبيب الشيخ ابرهيم اليازجي من الود القديم والولاء الصميم و يود الاجتماع به ومكاتبته ، وكنا من قبل ذلك اعلمنا الشيخ بمنزلته وفضله وما بيننا من حقوق الود والمواطنة ، وكان الشيخ شديد الشوق

الى لقائه ، فلما التقيا في مرسيليا كتب الاخ المراش الينا يقول — اذ كنا واسطة تعارفهما — : قد اسعدني الزمن بلقاء صديقكم الاجل الامام اليازجي وما زلت منذ دهر طويل ولا سيما بعد فراقكم اتشوق الى لقائه والاجتماع به

واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغّر َالخبر الخبرُ

وكتب الينا الشيخ يقول : قد رأينا صاحبكم كوكب المشرق طالعاً في سماء المغرب فشاهدناه كما وصفتموه وفوق الوصف

وكان لصاحب الترجمة معرفة بجسون وبينهما صداقة ومعاشرة طويلة وكان ينشر في مرآة الاحوال بلندرا مقالات سياسية في غاية الاصابة ويمضيها باسم انكليزي مستعار ، وكان ينشر في برجيس باريز مثل ذلك وهي جريدة قديمة كان ينشرها في باريز الكونت رشيد الدحداح

وكنا نود الاطالة في هذه الترجمة قضاء لحقوق الود ، وقياماً بما تستدعيه مرتبة هذا الامام من العلم ، ولعلنا نتمكن من ذلك في موضع اخر

٧ فرنسيس المراش

ولد بحلب سنة ١٨٣٥ وتوفي بها سنة ١٨٧٤

هو ابن فتح الله المراش احد افراد قطره ووحيد مصره علماً وذكاءً وشقيق المترجم المتقدم واحد افراد العصر الاخير ، ونابغة من نوابغ الشعراء ذوي النظم الغزير والنثر الكثير ، لطيف التخيل بعيد عن التكلف ، قد جانب التعمل والتعقيد والتعسف ، يباري فكره البرق ، ولا يجارى في سبق متدفق القريحة ، حاد البادرة ، غزير المادة ، ماضي السليقة ، ملأت شهرته الاقطار العربية ، ولا سيما البلاد المصرية ، ولم نزل نحفظ عمن روى

لنا من اصدقاء هذا البيت ان العلامة عبد الله هو البكر ، حتى عاودنا قراءة رسالة عنوانها رحلة باريس للمترجم فرأيناه يقول فيها : « وفي اليوم الواقع في ٧ ايلول سنة ١٨٦٦ وانا داخل في دائرة الثلاثين — يريد من العمر — خرجب من ابواب الشهباء » فصح عندي انه هو البكر وانه ولد في سنة ١٨٣٥ اذ كان مولد اخيه عبد الله سنة ١٨٣٧ كما تقدم ، وهنا ننقل ترجمته الى سن الثلاثين عن رسالته المذكورة بالحرف قال : فلما ادركت رشدي وبلغت اشدي دخلت هذا العالم لاتجسسه وارى كيف يجب اعتباره مني ، وعلى اي وجه ، وبالنسبة الى اي مادة . . .

فلم اجد بضاعة اشرف من انتقاد هذه الحوادث والبحث عن حركات هذا العالم ، رغبة بنيل علم المحيطات حولي والمقدرة على التسامي في امر الدنيا ، غير ملتفت الى ما رأيت من السوء الذي يلحق بتبعة هذه البضاعة

فانخرطت في سلك طلبة العلم واخذت اخوض تلك العباب التي ليس لها قرار وانا في سن الاربعة عشر ، ولم ازل اتخم مع الباضعين حتى بلغت العشرين وهنا شرعت امتحن نفسي لارى ماذا جنيت من الثمرات ، فلم اجد في مخيلتي حينئذ سوى كمية وافرة من الوف مسائل ومشاكل العلم العربي ، ولم اعثر في خزانتي غير على كتب مطولات ومختصرات في النحو والصرف وما يلحقهما . واذ تأملت الفائدة لم اجدها سوى نظم الشعر ، فها انا شاعر اذا اراد شعراء العصر . ولكنني رأيت جملة اضرار تقابل هذه الفائدة وتنازعها الوجود ، وهي اولا كساد سوق الشعر ومقت العامة له جهلا بشرفه وكونه صناعة لا يوجد في عالم الادب اجمل منها ، ومزية اودعها الله في

الانفس التي شاء لها الانفراد ...

فاوحت اليّ كراهتي تلك الفائدة المقتداة بانخر سني حياتي ان انعكف الى طلب العلوم العالية واللغات ، فاخذت اتتبع اثرها عند علماء ماهرين ان يكن من بني المغرب او من اولاد المشرق، وصرت اخلو بنفسي منكباً عَلَى الدراسة ليلا ونهاراً ، ولم البث ان اتفق لي احد مهرة اطباء الانكليز، فالقيت ثقلتي عَلَى مسايرته و بدأت ادرس عليه العلوم الطبية وانا في سن الخمسة والعشرين ولم ازل ان هضمت اربع سنين كوامل عَلَى مأيدة هذه الدراسة حتى صرت طبيباً عَلَى رأي المعلم وجهولا لدى نقول المدارس

فشرعت اباشر الامراض متلاعباً بصناعة ابوقراط ، وداومت عَلَى ذلك نحو سنة ، ثم اوعز اليّ ضميري ان ارحل الى مدينة باريس محط عرش الفرنسيس لكي انضم في سلك مدرستها الشهيرة حيثما يأخذ الدارس حقه و يحصل عَلَى ما لا يوجد خارجاً

وفي اليوم الواقع في ٧ ايلول سنة ١٨٦٦ وانا داخل في دائرة الثلثين خرجت من ابواب الشهباء الخ »

وقد اجاد في وصف الطريق التي قطعها بين حلب والاسكندرونه غاية الاجادة ، وهو كان ولوعاً بالتشبيه والمجاز ، ولا عجب فانه كان ذا فطرة شعرية الى غاية ليس وراءها غاية قال :

« فما بلغت الاسكندرونه ميناء حلب ، الا وانا نضو التعب والوصب لان المشقة التي كابدتها في طي هذه الشقة كانت غاية

اوعار ملقاة في وسط الطريق كأنها امواج البحر الجامد معدة لتمزيق سفن البر ، قفار محرقة لا ينبت فيها سوى شوك القتاد وهوام السموم

صخور منفردة في العراص الخالية كأن الايام نخرتها والرياح صقلتها لتكون اوتادا لمضارب الخراب والكتابة ، جبال صلعاء القمم معممة بسحب القتام ولا مزية لها سوى الشمخ الى السماء فهي كالجاهل المتكبر والاحمق المدعي تلال وعرة خشنة وهضاب مجدبة ممحلة منفردة كاللصوص في درب ابناء السبيل لنهب راحتهم وقطع طريقهم وتهشيم حوافر دوابهم ، وهي ليست مأهولة سوى باوكار الافاعي واكوار الحشرات ، اودية تدوي بهدير المياه الهابطة من ينابيعها لخطف المارين ، واوهاد فارغة الافواه لابتلاع السالكين عَلَى شفاهها وهضمهم في ظلمة وظلال الموت ... قناطر مقطعة الاوصال هابطة تحت ثقل الشيخوخة ودوس اقدام الزمان ..

وفي احد مراحل هذه الطريق انفردت مساء الى جهة في تلك البرية الساكنة وجلست عَلَى صخرة مضجعة في حضن الواحدة واخذت اتأمل هذه الفلاة الحزينة بينما كانت شمس الغروب تصبغ وجه الطبيعة بصفرة الذبول والافق يحيك عَلَى سراج الشفق ثوب الظلام ... وحينئذ اسالت جمرة الفراق جمود قريحتي فهرعت الى القلم ونقشت ابياتا من الشعر :

ومن محاسن شعره كانت الابيات التي اشار اليها واولها

هداةُ السرى مهلا فهذي خيامها * وتلك روابيها وذاك غمامها
قفوا ساعة نشتم رائحة الحي * هنا علقت روحي وطال هيامها
هنا لي من الغادات من لو تبسمت * لدى البرق ليلاً لازدهاه ابتسامها

* * *

ومنها

فهل ذكرت تلك المنيعة في الخبا * شريداً طحاه البين وهو غلامها

وهل علمت اسماء وهي عليمة * صبابة نفس قد تسامى مرامها
نسيم الصبا هل قد عثرت بردنها * فعطرت ام لي معك آتٍ سلامها

* * *

تقلبني الدنيا على موقد البلا * ولي همة في الصبر عز انصرامها
و يجري علي الدهر جيش خطوبه * وما انا ذا نفس يهون اقتحامها
ومن عرف الدنيا وادرك سرها * تساوى لديه حربها وسلامها

على انه لم تطل اقامته في باريز اذ اصيب بها بشلل في اعصاب بصره فعاد الى حلب ثم فقد النظر بتاتاً ، وله في رثاء عينيه قصائد غاية في النوح يكاد يتفجر لها الجماد شجناً ، وكان يستعين باصحابه في كتابة ما يؤلفه

وقد يتحير الناقد البصير ، فيما يجده من اغلاط اللغة ، وركاكة التعبير ، وضعف التركيب في المقدمة التي نقلنا شيئاً منها في هذه الترجمة ، ويلكه الاستعجاب لدى تيقنه انها من قلم المترجم له ، على بعد شهرته في عالم التأليف ، وسعة فضله ، فلا يتوقف عن البحث الانتقادي ليعلم السبب ، على انه اذا راجع اعتراف المترجم به بقوله : « لم اعثر في خزانتي غير على — يريد الا على — كتب مطولات ومختصرات في النحو والصرف وما يلحقهما » : ثبت لديه ان فاضلنا لم يكن قرأ يومئذ من كتب الفصحاء كأدب الكاتب ، والبيان والتبيين ، والكامل ، والعقد الفريد ، ومقدمة ابن خلدون ، وغيرها ولا عجب في ذلك فان المطبوع منها في اوروبا ومصر كان بعد ذلك التاريخ ، وما طبع منها كان قليلاً وغالي الثمن ، اما الخطية منها فكانت اندر من الكبريت

الاحمر ، ومن المعلوم انه لا يتوصل الى صناعة الانشاء الا بالاكثار من قراءة كتب البلغاء والفصحاء من الكتاب . ومما زاد في الطين بلة ، ان شاعرنا لم ينته من طلب العربية ، حتى عكف عَلَى درس الفرنسوية والطليانية ، ثم اقبل عَلَى دراسة الطب . فاين الفصاحة ، وسلامة التركيب ، وحسن اختيار اللفظ وعَلَى الجملة اين براعة الانشاء من ذلك . عَلَى انه بعد عودته من باريز وعكوفه عَلَى الكتابة ، تبدل اسلوبه فهجر المبتذل وندرت الاغلاط فيه ، كما يُرى من مراجعة كتبه ، ولا سيما مشهد الاحوال فقد ضمنه من الموضوعات الطبيعية والفلسفية والاجتماعية والحكمة والغزل طائفة وافرة ، ونحا فيه نحو المقامات الهمزانية والحريرية واليازجية ، وان كان بينه وبينها في الفصاحة شاو بعيد الا ان اغراض مشهد الاحوال اغراض عصرية ، وفيها من الفائدة والفكاهة قسط جليل ، وذهب في التخيلات فيه مذهبه في الشعر ، وهو فطريّ فيه واذا تبصرت فيما الفه في هذه المدة الوجيزة ، اي منذ عودته من باريز الى وفاته ، وهي مدة لا تجاوز ست سنوات سقط منها قسم كبير قضاه في المرض ايقنت ان هذا الرجل الكفيف أوتي من حدة الذهن وسرعة الخاطر ، وغزارة المادة ، وجودة القريحة والالمعية ، ما كان فيه نسيج وحده ، فانه الف اكثر ديوانه الكبير المشهور بمرآة الحسناء . وقصيدة تبلغ نحو خمسمائة بيت عنوانها الميمونية ضمّنها ذكر حادثة مشهورة ، ورواية كبيرة سماها درُّ الصدف في غرائب الصدف (يريد المصادفات) وكتابا اخر سماه غابة الحق . وعرب رواية كبيرة عن الطليانية لم تطبع فيما نعلم ، ومشهد الاحوال المذكور ، ومقالات في مجلة الجنان ، ومساجلات ومبادلات جدلية ، وكاتبه شعراء عصره والعلماء

والفضلاء من كثير من الاقطار ، الا انه كان قليل التثبت فيما يكتب فبدرت من قلمه اغلاط في اللغة والفاظ عامية استدرج اليها كقوله

صدحت بلابلة الاراك صباحا * فاهاجت البلبال والاتراحا

والبلبل يجمع علَى بلابل ، ولم يسمع بجمعه علَى بلابلة ، وقالوا هاج وهيج ولم يرد لهم اهاج . وكقوله

والهوى بالاشواق يصدع قلبي * والنوى بالاتواق يثني عظامي

فالاتواق لم ترد في شعر قديم ولا حديث ، جمعاً لتوق ، وكأنه قاسها علَى اشواق ، ومعلوم ان اكثر الجموع رهن النقلة ، واكثرها يؤخذ بالسماع والقياس هنا غير جائز ، هذا عدا ان التوق هو الشوق بعينه ، والتكرار هنا غير مستملح ، والذي ساقه الى ذلك هو التهافت علَى الجناس ولعله من اول شعره . ومن العامي الذي استدرج اليه كثيرون بعده قوله

احرمتني مرسح طيفك هل * تحرمني فكري اذا مثّلك

والمرسح لفظ عامي كما هو معلوم ، ولعله مقلوب مسرح من قولهم سرحت طرفي في كذا مجازاً وهو من التسريح اي الارسال والمسرح هو المرعى كما في كتب اللغة

اما وصف شاعريته فذلك غرض بعيد ، فقد كان الرجل شاعراً في نثره ومرسله ، شاعراً في تخيله الى الغاية القصوى ، لا شاعر اوزان ، او نظام الفاظ موزونة ككثير ممن عرفنا ، فان تخيلاته كانت تزاحم الفاظه بل كانت تعجز عنها . واليك شيئاً من حسنات شعره الكثيرة ، قال من قصيدة

فهل ليل يروح ولا اضطراب * وهل صبح يلوح ولا أنسجامُ

وصبح ليلهُ احيا جفوني * بطيف كان يحييه الظلام

افقتُ مودعاً وسني وقلبي * به من ذلك الطيف اضطرام
واحشائي تذوب وكل عضو * به جرح ولم يرهف حسام
هرعت الى المضاب ولا رفيق * يؤانس وحدتي الا الغرام
هناك لوحشتي وادٍ انيس * تظلله الروابي والاكام
تلوح عرائس الافكار فيه * سوافر لا قناع ولا لثام
ولا تخشى ذبولا من هجير * فمن شجر الاراك لها خيام
هنا دوح تمد شراع ظل * وثيقاً ما لعروته انفصام
عَلَى جو زها وصفا اثيراً * به الاوهام تسبح لا الهوام
هنا النسرين تحت طرنجبيل * يفوح كذا البنفسج والخزام
ومنها
و بينا كنت في سكري صريعاً * بهذا الوادي ولا خمر وجام
شريداً ما لافكاري قرارٌ * اروم ولست ادري ما المرام
اذا بنت الصباح بدت وحيّت * عَلَى الدنيا وحيتها الانام
فغار النجم وامحت الثريا * واخفى وجهه البدر التمام
ولاح من الظلام الكون يزهو * كزهر عنه تبتسم الكمام
وراح الظل يهبط في المهاوي * ويستعلي عَلَى القمم الغمام
عبيرٌ قلت فاح من الموافي * فما هذا بشامٌ او ثمام
اذا صنم الجمال بدا امامي * وقال عليك يا عبدي السلام
كلها عَلَى هذا النسق الانيق ، وله من قصيدة
عجباً روض رضاكم ماحلٌ * رغم اجفان له اضحت غماما
غدرُكم علمني حفظ الوفا * مذ جعلتم يقظة الحب مناما

ومن اخرى :

ما عليكم قط مني عتب * بل عَلَى قلب بكم ضج وهاما
انني ملكتكم قلبي فلم * تحرسوا الملك ولم ترعوا مقاما

ومنها :

كانت النفس لكم عاشقة * حين كنتم عروة تأبى انفصاما
فبمن عوضتموني يا ترى * هل تخذتم عوض النور ظلاما
يا ربوعاً قد رعى غيري بها * لاسقاك الله من بعدي الغماما
كنت للاساد غابات وهـا * للكلاب اليوم اضحيت مقاما

ومن احسانه في مشهد الاحوال

ما للمليحة غضبى لا تكلمني * كأنها بي لم تسمع ولم ترني
ما بال اعينها في الارض مطرقة * وكلما اطرقت عيناي ترمقني
ونحن في مجلس قد قام من نخبٍ
فمن عذول ومن واشٍ ومن خشن
ليت المليحة تدري انني كلفٌ * بها الى غيرها ما ملت في زمني

وقال :

عَلَى صراط مستوٍ مستقيمْ * سلكتُ والناس حيارى تهيمْ
يضج فوق الارض سكانها * شبه ذبابٍ فوق شيءٍ وخيم
كذا ترى الدنيا عيون الورى * كما ترى العقرب عين الفطيم

وقال يمدح صديق صباه الشاعر المشهور جبرائيل الدلال السابق الذكر

لا كنت صبًّا صبا للخد والخال * ان كنت اسمع عذل العاذل الخالي
يا من مددتم الى لوم المحب يداً * لا تعذلوا فانا راض بذي الحال

ومنها :

اعطافها ثملت من خمر مقلتها * فتهنّ سكراً وملن ميل آسالِ
زادت محاسن حتى خلتها اقتبست * من حسن طلعة جبرائيل دلال

فرع الاصائل بل اصل الفضائل من
قد حاز كل مقام زاهر عال
صدر المجالس نبراس الدوامس مظ
هار النفائس ندبٌ خير مفضال

وقال يجيبهُ عَلَى قصيدته الدالية

محاجر صب سافحات سواهدُ * لهن الفوادي والدراري شواهدُ
وقلب رهين السير في سبل الولا * ولو حادت الجوزاء ما هو حائد

ومنها :

جفاني احبابي واهلي ومعشري * وما عاد لي منهم سوى الضر عائد
وصرت غريباً في دياري ومعهدي * ولم يبق لي بين الانام معاهد

ومنها

فهل انت يا دلال الا اخ بــه * ظنوني عَلَى فرش اليقين رواقدُ

ومنها :

بمثلك يا راعي الذمام نشائدي * فمثلك من تمتزُّ فيه النشائد
فانت عَلَى برجيس اربيت مهيعاً * وحطَّ لدى عالي ذكاك عطارد
لبست ثياب العز والعزم والحجى * فعدت فتى تخشى لقاك العوائد

وختامهـا :

وقد زاد كيل البعد بعد امتلائه * اليس اخا النقصان ما هو زائد

وتعداد احسانه تضيق عنه هذه الترجمة و بهذا القدر من فلائده كفاية .

٨ الشيخ محمد نور الدين الترمانيني

ولد في ترمانين سنة ١٢٠١ وتوفي بحلب سنة ١٢٥٠ في الثالث من ذي الحجة ١٧٨٦ — ١٨٣٤

هو ابن عبد الكريم بن احمد بن نعمة الله الترمانيني وترمانين احدى قرى حلب الغربية واصل اسم القرية دير رمانين او رومانين حسبما صحح ذلك صديقنا العالم المؤرخ المحقق الاستاذ عيسى المعلوف في ترجمة الشيخ المترجم عليه كما افادنا باحدى رسائله الاخوانية وانهم يسمون بيت الشيخ احد متقدمي العلماء في القرن التاسع عشر وطليعة انوار الادب في ظلمات الجهل الاخير ، اتم علومه في الازهر بمصر ثم عاد الى حلب اذ كان والده قطن بها قبل سفره ثم تقلد بها التدريس في الجامع الاموي وكانت حلب حينئذ في اشد الحاجة اليه لتقلص انوار العلم عن ربوعها منذ عهد طويل ثم سمي بمفتي الشافعية فيها

وله شرح على عقود الجمان في المعاني والبيان ، وشرح على المنهج ، وشرح على متن الاجرومية ، وكثير غير ذلك من الشروح والحواشي

وله شعر لم يصل الينا منه الا القليل ، فمن ذلك تخميس قصيدة للشيخ عبد الغني النابلسي قال

ما هذه الدار للاخيار من دار * ان كنت تدري فماذا الهم ياداري
فاصبر اذا دارت الايام او دار * من عادة الدهر صفو بعد اكدار

فلا تكن فيه في هم وافكار

اياك تغتر بالاوقات تصرفها * الى المعاصي او الاغيار تعرفها
واغرس ثمار التقى والزهد تقطفها * واترك غرورك بالدنيا فزخرفها

غرّ الفراش فارمى النفس بالنار

من رام تصفو له ايامه غلطا * لا بد لليسر من عسرٍ وان سخطا
فكن اذا جاءت الايام منبسطا * واصبر اذا ضقت ذرعاً والزمان سطا

لا يحصل اليسر الا بعد اعسار

وله مقامة في وصف الزلزلة بحلب المشهورة بزلزلة سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) في الساعة الثالثة بعد الغروب قال ... ومـا ذاك الادويّ كدوي الصواعق تتدكدك من هوله الشوامخ والشواهق ... ونفضتنا الارض عن ظهرها حتى قربنا من السماء ، وكدنا نغترف من السحاب الماء ، ثم هبطنا الى الحضيض الاسفل وعدنا لما وصلنا اليه خمس مرات متواليات ، حتى ظننا ان الارض اختلطت بالسموات ، ... فبينما نحن في هـذا الحال اذ نزلت علينا شهب من السماء تتلاطم ورآهـا غاب من ذات العواصم تتابع ... فبعد خمس من الدقائق نظرنا الى انفسنا كأننا خرجنا من القبور وعلينا التراب مغط للثياب والشعور ، ثم التفتنا الى القصور والربوع فرأيناها قاعاً صفصفاً كهيئة الجبال يوم النشور ، فافتقدنا الاقارب والاباعد فاذا من فقد منهم عشرة الاف ...

٩ اخوه الشيخ احمد الترمانيني الشهير

ولد بحلب سنة ١٢٠٤ وتوفي بها سنة ١٢٩٣ في ربيع الثاني

١٧٩٠ — ١٨٧٦

شيخ العلماء ، واستاذ الفضلاء ، واوحد الصلحاء ، وقدوة الحكماء كان امة في الكمالات الانسانية ، وعنوان الزهد والفضائل والامية ، فاذا ذهب في الاسواق لقضاء حاجاته ، تسابق الناس الى لثم راحاته ، وهو يدفعهم عنه بالشمال واليمين و يستغفر الله عن المؤمنين ، كأنه اذنب اليهم اجمعين .

ولم يكن له ولد ذكر فكان يحمل على كتفه اقن العجين الى الفرن وكان قد جاوز الثمانين فيتزاحم من يراه من الناس لحمله عنه فينتهرهم قائلاً ألهيكم عن اعمالكم اذهبوا عني الى مصالحكم ، وكان لفرط سذاجته يجهل ما له في قلوب الناس من الحرمة والتوقير ، و يطول الكلام عن صلاحه ونقشفه ومكارم اخلاقه وما ذكرناه غيض من فيض

وظل يدرس في الجامع الاموي بحلب دهراً طويلا ، وكانت لوفاته رنة حزن في قلوب سكان حلب على اختلاف الاديان ، كأن كل من عرفه اصيب باعز الاخوان

اما مؤلفاته فكثيرة جداً نذكر منها شرح الشمسية في المنطق ، وشرح على منظومة الخانية في المنطق ايضاً ، وهداية الانام في توريث ذوي الارحام وكتاب الجامع في الكيمياء ، وشرح الشافية ، وحاشية على شرح الفاكهي وشرح تائية السبكي في المغازي ، وشرح منظومة الصبّان في العروض ، وحاشية على شذور الذهب ، وتلخيص العبارات الرائقة على البيضاوي ، وحاشية على

الجلالين ، ورسالة في العلم الروحاني ، وشرح عَلَى ورد السَّحَر الخ

١٠ الشيخ عبد السلام الترمانيني

ولد بحلب سنة ١٢٣٨ وتوفي بها في الثامن من ربيع الاول سنة ١٣٠٥

١٨٢٢ — ١٨٨٧

هو ابن الشيخ نور الدين السابق الذكر . امام من ائمة ذلك البيت الكريم وفرع تلك الدوحة التي يشار اليها بالتعظيم ، اخذ العلم عن ابيه وعمه ولله ذلك الوالد والعم . وطلع في فلك الشهباء بدراً ومن يشابه ابه فما ظلم ، كان آية في محاسن الطباع وعَلَى غاية بعيدة من اللطف والاتضاع ، حدثنا الصديق الفاضل الاستاذ ميخائيل الصقال قال زرته وانا يومئذ فتى استفيد في معنى نظمته وكان احد الادباء انكر عليَّ صوابه ، فاقبل علي الشيخ رحمه الله بوجه طلق واكرمني اكراماً يفوق قدر سني وسألني ان كنت احب التدخين فتمنعت فلم يزده تمنعي الا اصراراً عليَّ به ، فقلت يا شيخي اني لا ادخن التبغ ولو كنت ادخن لما فعلت ذلك بحضرتك ، قال اذن انت تشرب النرجيلة قلت نعم ولكن لا اسمح لنفسي بذلك في هذه الحضرة ، فغاب عني بضع دقائق حسبته ينهي بعض عمل كان بيده ثم عاد و بيده نرجيلة معمورة فنهضت اجلالا له فوضعها بنفسه بين يديَّ . فكدت اختنق خجلا ولمح مني ذلك فقال سرِّ عنك خجلك فان اكرامك فرض عليَّ اذ زرتني ولا سيما وانت من طلاب العلم والادب ، وانت معدود من عصابتنا عصابة خدام العلم

وما زال يؤنسني ويكرمني حتى خلت اني بفضل العلم، ملكت من اكرامه ذلك اليوم ارفع المناصب .

تقلد التدريس في الجامع الاموي بحلب وكان ربعة القوام الى القصر نحيف البدن ، صغير الوجه ، اسود العينين ، صغير الانف والفم ، خفيف اللحية عرفناه وقد عمه الشيب وقوراً ذا طلعة بهية يعصر منها ماء الانس والوداعة

اما مؤلفاته فمنها : رفع الخلاف والشقاق في احكام الطلاق ، وبهجة الجلاس في مذاكرة الانفاس ، ورسالة فكاهة الغريب ، وتذكرة الوعاظ بجميل المعاني والالفاظ في علم الحديث ، ورسالة الغالب والمغلوب ، ورسالة في احكام الخلع وحواش على مختصر السعد في المعاني والبيان ، وحواش على البخاري وغيره ، ومجموعة ادبية وله شعر فيه كثير من المحاسن فمن ذلك قوله :

اسعد الله بالصباح مليحاً * تفتديه بروحها الاقمارُ

ومنها :

سل سبيلاً من الرحيق بفيه * فيه يحلو وحقه الاسكارُ

علّ يصحو من الذهول محبٌ * حار بته بقوسها الاقمار

وقوله :

كن محسناً ما استطعت فان من * فعل الاذى لا بد ان يتضررا

فالباز قصر عمره لما بغى * والنسر من ترك الاذى قد عمّرا

وقوله وهو معنى مليح

كن مستقيما في الامور جميعها * فاذا استقمت تكُ المقدم في الملا

أفلا ترى الف الهجاء تقدمت * لما استقامت فهي تكتب اولا

ومن احسانه

تملكني لحظ الحبيب وحاجبه * فادخلني ظلما بذا النظم حاجبه
تعشقته عمدا وخالفت مذهبي * وآليت اني لا ازال اصاحبه
لعمرك ما حب الحسان محرم * اذا سار في نهج الشريعة صاحبه

وله قد عَلَى اغنية « قيص النوم شكوكني ونهودي بينت منه » قال :

كيف الهوى رماني وانا احذر منه
وان كتمه قلبي وشى عليّ أنه

دور

فما انا يا صاحِ من الهوى بصاحِ
وكم نهت نصّاحي وما انتهيت عنه

دور

كأنه شمولُ او جؤذرٌ يجول
ولم ازل اقولُ كأنه كأنهُ

اما قوله والنسر من ترك الاذى قد عمّرا . لعله يريد احد الكوكبين المعروفين « بالنسر الطائر والنسر الواقع » اذ النسر هو من جوارح الطير و يقع عَلَى الغنم فيحتمل النعجة بين مخالبه و يسطو عَلَى الارنب والثيتل وهو ضرب من بقر الوحش الا ان المشهور عنه انه جبان شره يألف الاشلاء والجيف

***

وقد كانت النية معقودة عَلَى متابعة نشر التراجم منسوقة حسب سني مواليد اصحابها الا انهُ قد اعترضنا من العقبات ما لم يكن في الحسبان ذلك ان اثار كثير من اصحاب التراجم ، لم تصنها فروض البنوة ولا حرصت

عليها ذم الاخوة ، ولا رعت لها حرمة رحم الاقرباء ولا اقامت لها وزناً اطماع الورثاء ، فلعبت بها ايدي الحدثان ، وتقاذفتها رياح النسيان . ووطئتها اقدام الخذلان فلا حول ولا . . .

اين هذا من عناية الامم الفرنجية بكتابات ابائهم وذويهم وحرصهم على اثارهم حتى التافه منها ، يضن به المرء منهم ضنانة البخيل بالكنز الجليل الجزيل ، ويوصي الوالد بالحرص عليه اولاده ، بل يستعهد منهم ان يعاهدوا على ذلك احفاده . ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد خطرت بالبال حكاية لا بأس من ايرادها ولعل بها فكاهة وعبرة .

وجملتها انني كنت منذ ست وثلاثين سنة ونيف ، تلقيت كتاباً من عميّ في مدينة مرسيليا . يخبراني ان واحداً من احفاد عمهما ، واسمه ادريان عزم على زيارة حلب . — وجده وجدي شقيقان — . فلما قدمها كان ضيفي في مدة اقامته فيها ، وعلمت منه انه لم يترك الغرب ويحمل مشاق هذا السفر الطويل الا لزيارة الارض التي ولد فيها ابوه على حد قول الشاعر

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي * واول ارضٍ مسّ جلدي ترابها

اذ كان جده هاجر حلب سنة ١٨١٨ واصطحب ابنه انطوان وهو والد ادريان طفلا فلم يكن يعرف من حلب الا ما كان يقصه عليه والده ولكنه كان يحن الى رؤيتها فلم يقسم له ذلك ، وكان ابنه ادريان هذا لا يفهم حرفاً من اللغة العربية ، فلما استراح من وعثاء السفر قال كم لاسرتنا في هذه الدار ، قلت انها دار جدي ، قال هل ولد فيها ابي ، قلت ذلك ما لا اعلمه ، وانما عندنا شيخ عترتنا وهو ابن عم ابي بطرس المشهور نسأله لعله يعلم ذلك ، فلما سألناه قال : ان وجوه النصرانية كانوا يسكنون يومئذ

محلة الشرعسوس ، وكان عمي ميخائيل (هو جد ادريان) يملك دار سكنه ثم لما توطن مرسيليا كتب الى اخويه في حلب يوقفها على البر وانا اعرفها قال ادريان هل يتفضل ابن العم بدلالتنا عليها لزيارتها فاجابه الى ذلك ولما دخلناها ونفقد حجراتها قال سل ابن العم هل يعلم في اي حجرة ولد ابي فلما عربت سؤاله ضحك ابن العم ثم قال :

لم اكن ولدت يومئذ ، ولكن العادة كانت عندنا ان نلد المرأة في اوسع حجرات الدار واعزها ، ولا ريب في ان والدك قد ولد في هذا البيت الكبير واشار بيده الى ارحب حجرات الدار ، واذ أعربت له المقال ، برقت اسارير وجهه ودخل الحجرة المشار اليها ، ثم كشف القلنسوة عن رأسه وركع وصلب وصلى وتخشع ، ثم نهض فاطال التفرس في اطراف الحجرة وسقفها وجدرانها وعتبتها كأنه يريد ان يطبع صورتها بجميع دقائقها على لوح ذهنه ولما خرجنا وتوسطنا صحن الدار قال اطلب اليك ان تقول لابن العم الان طابت نفسي وقد قلدني منة لن انساها ما حييت ، فاني وعدت امي ان ابذل كل ما في طاقتي لبلوغ هذه الامنية ، وقد نلتها دون مزيد تعب .

وبعد ان مكث اياماً في حلب ، سألنا عن طريق حمص فقلنا له ان في السفر الى هذه المدينة من المشقة والاخطار ، ما لا تذكر بجنبه مشاق طريق الاسكندرونة ومخاطره ، فقال أو آتي الشرق واعود منه دون ان ارى المدينة التي ننسب اليها ؟ لا بد من زيارتها ، ولم يكن يومئذ عربات في حلب ، وكانت الاسفار كلها على ظهور الدواب ، فاكترينا له فرساً وانتظرنا سفر قافلة ، وزودناه بكتب الى بعض اصحابنا هناك فوصل حمص واقام بها خمسة ايام ، ثم رحل عنها الى اللاذقية ومنها عاد الى مرسيليا مسروراً من

زيارته هاتين المدينتين ، كأنه فاز بغنيمتين او نال ثواب حجتين ·

نقول والحديث ذو شجون ، لقد سنحت للخاطر احدوثة من هذا الباب لا نطيل بها عَلَى القارئ · كان في حلب قنصل من الانكليز له هوى بالخزف الصيني ، وكانت بيننا مودة · فزرناه يوماً وكان عائدا من لندن ولما اخذنا باطراف الحديث ، نهض وارانا صحنا (شاكاسة) من ادنى أنواع الصيني قيمة ، ثم قال ما ترى فيه ، قلت هو من النوع المسمى عندنا بالبقدونسي وهو اقل الصيني قيمة ، قال الكنه من اقدمه قلت نعم ، قال بكم ليرة تقدر ثمن هذا الصحن ، قلت بثلاث او اربع ليرات ، قال اود ان اقص عليك حديثاً لا يخلو من الغرابة واملي به فائدة فهل انت متسمع ، قلت اني لحديثك منصت ، قال اذ كنت عَلَى ظهر السفينة ، ادركني شيء من العطاش فناديت الخادم ان يأتيني بماء في هذا الصحن ، ودللته عَلى مكانه في غرفتي ، وبينما كان عائداً بالماء رآه رجل انكليزي كان عَلَى ظهر السفينة ايضاً ، فسأله لمن الصحن فدله عليّ ، فقال له سله هل يبيعه ، فلما اتاني الخادم بالماء وكنت شاهدت ان الرجل يكلمه قال طلب مني هذا السيد ان كنتم ترغبون في بيع هذا الصحن قلت سله بكم يشتريه واردت بذلك ان اعرف تقويمه فعاد الي وقال أنه يشتريه بعشرين ليرة فقلت لا ابيعه فذهب ثم عاد وقال هو يشتريه بثلاثين ليرة فقلت ألم اقل لك انني لا ابيعه فذهب ثم عاد ايضاً وقال انه يرغب في شرائه بخمسين ليرة فقلت قل له انه ليس للبيع ولما انتهى من حديثه قلت له وهل تظن انه يساوي هذا الثمن قال كلا اني اعلم انه لا يساوي ربع هذه القيمة ولعل الرجل احب اقتناءه فبذل ما بذل فيه من الثمن وقد يكون من الاغنياء فلا يري مثل هذا القدر

من المال شيئاً كثيراً غير انني لا استطيع بيعه باي ثمن كان لانه مما اصابني من تركة والدتي وكان هذا عزيزاً لديها ·

هذي هي التربية الافرنجية وهذه اداب الاكابر منهم والاخيار وبها عبرة لذوي الابصار ·

عَلَى اننا ابت علينا العصبية — ولا ننكرها — ان يمر هذا الرهط الجليل رهط ادبآء حلب في القرن التاسع عشر امام معاصرينا من قرآء العربية ومن يأتي بعدهم دون ان يكون لغير واحد ممن سمعنا بعدهم بين اهل الفضل اثر مَذكور واسم خالد مشهور ·

بيدَ اننا لما عرضت لنا في هذا السبيل عقبات تقدم بسط بعضها رأينا ان ننصرف الان الى تقديم ذكر الاموات الذين تحضر الذهن تراجمهم دون مراعاة التنسيق في سني ميلادهم عَلَى رجاء الفوز بالمواد التي تعوزنا لصوغ تراجم الأدباء الذين نحفظ اسماءهم فان لم تسعف الايام بتحقيق هذه الامنية وانتهى ما اعددناه اتينا عَلَى تراجم الاحياء فسح الله في أجلهم ومتعنا طويلا بعلمهم وعملهم ·

١١ الحاج عطاء الله المدرّس

ولد بحلب سنة ١٢٠٦ هجرية وتوفي بها يوم الثلثاء في ١٥ صفر سنة ١٣٣٢ · مسيحية ١٨٤٠ — ١٩١٣

هو عطاء الله بن عبد الرحمن بن حسن المدرّس ، تقلد ابوه وجده منصب الافتاء بحلب

عَلَمُ وجاهة ونُبل ، وطود حزم وفضل ، قرض الشعر فاجاد ، واشتغل بالعلم فاستفاد وأفاد ، وهو من بيت نسبه الى التدريس غير جديد ، وله من المجد طارف وتليد ، وكان طروبا ترنحه الالحان ، كما رنحت الشارب بنت الحان ، وكانت بيننا و بينه مودة اوثقها الادب ، عَلَى تباين في السن وتدان في حب الأدب وهو بعض النسب

كان حسن القامة ، ممتلئ الجسم ، جميل الوجه مستديره ، بهيّ الطلعة درّي اللون ، ازرق العينين ، صغير الانف تلوح عَلَى محياه لوائح الوقار والذكاء حسن المحاضرة لطيف المعاسرة ، كأنه جبل من معدن الرقة ، عَلَى جلالة قدر . ونباهة ذكر . اخذ العلم عن الشيخ محمد الترمانيني وابن اخيه الشيخ عبد السلام المتقدمي الذكر

تقلب في المناصب بحلب فتقلد مديرية المعارف ثم رئاسة مجلس الدعاوى ، ثم رئاسة مجلس التمييز ، ثم عضوية مجلس الادارة ثم رئاسة لجنة الاوقاف ، ثم رئاسة مجلس المعارف ، ثم عضوية محكمة الاستئناف

وكان متمكناً من العلوم الفقهية ، عارفاً باللغة التركية يؤلف بها ، وقد ترجم اليها كتاب الخراج على طلب من نظارة الاوقاف بالقسطنطينية وعلق عليه حواشيَ كثيرة فتحها عليه تبحره في العلوم الفقهية ، وطبع في القسطنطينية بامر نظارة الاوقاف

وقد ذهب ديوان شعره ومكتبته وغير ذلك من مؤلفاته في حريق حدث في منزله ، فلم يصل الينا الا ما نثبته عَلَى علاته رواية عمن رواهُ لنا ، قال رحمه الله

كن ليّناً في الناس واحذر ان ترى * فظ الطبيعة انـه لم يحسن
افما ترى الاكحال وهي حجارة * لانت فصار مقرها في الاعين

وقال :

ان الولاية لا تدوم لواجد * ان كنت تنكرها فاين الاول
فاغرس بصنع الخير غرساً .. * فاذا عُزلتَ بانها لا تُعزل

وقال مشطراً

خلقتَ الجمالَ لنا فتنة * وقلت عبادي الا فاتقون
وانت جميلٌ تحب الجمال * وخلقك طراً به مغرمون
فأن انت احببت خير الورى * فكيف عبادك لا يعشقون

وقال في طريق الحج من قصيدة :

يا حادي العيس مهلا وامش متئداً * وعلل القلب يا حادي بذكراها
هل التذكر يبقي فيه من رمق * فمهجتي تلفت والحب ابلاها
وكدت اياس لو لم اعتصم بعرى * خير البرية اولاها واصفاها

وبعث الينا رحمه الله بهذه الابيات

لئن فخر الألى سلفوا علينا * باداب واشعار حسان
فقسطاكيٌّ جئتنا عليهم * لعمري ما له فيهم مدان
فتى في كل وصف قد تسامى * فليس له عَلَى التحقيق ثان
ومهما قلت فيه من مديح * فبالتقصير معترف لساني

فاجبناه عليها بابيات لم نعثر عَلَى صورتها بين اوراقنا لتقادم العهد وانما
بقي في التذكر مطلعها و بيت التخلص اما المطلع فهو :

اندري ليت شعري ما اعاني * بنار غرامها ذات المعاني
فمن آل المدرّس لي فريدٌ * به قد بت ابتكر المعاني

١٢ الست مريانا المراش

هي بنت فتح الله وشقيقة عبد الله وفرنسيس المتقدمي الذكر، ولدت بحلب سنة ١٨٤٠ وتوفيت بها سنة ١٩١٩

سليلة بيت العلم، وشعلة الذكاء والفهم، فصيحة الخطاب، المعية الجواب تسبي الباب ذوي النهى بالطافها . ويكاد يعصر الظرف من اعطافها، تحن الى الالحان والطرب، حنينها الى الفضل والادب، وكانت رخيمة الصوت عليمة بالانغام، تضرب عَلَى القانون فتنطقه انطاقها الاقلام

دخلت مدرسة راهبات مار يوسف بحلب ودرست الفرنسوية حتى صارت تكتب وتتكلم بها جيدا ثم درست مبادئ النحو والصرف عَلَى اخيها فرنسيس المشهور

وكانت مليحة القد، رقيقة الشمائل . عذبة المنطق، فكهة الاخلاق طيبة العشرة، تميل الى المزاح، حسنة الجملة، عصبية المزاج وقد تمكن منها الداء العصبي في اخر سني حياتها حتى كانت تتمنى الموت في كل ساعة

ارادها كثيرون عَلَى الزواج في اول صباها فابت لانها كانت تنوي ان تظل عزبة ثم اقنعها ذووها اذ ظلت بعد وفاة امها وحيدة بلزوم زواجها فعقد لها على المرحوم حبيب الغضبان من بيت كريم وكان منزلها مثابة الفضلاء، وملتقى الظرفاء والنبهاء، وكان لنا عندها منزلة ترتد عنها اعين الحساد كايلة، لما كان بيننا و بين شقيقها عبد الله من المودة الجزيلة الطويلة

فسقياً لايام الشباب ، ومجالس الاداب والاحباب ، ومساجلاتنا بالمحفوظ والبديه من الاشعار ، ورقصنا على العود والمزمار ، وصوت بلبل ذالك العصر المدعو بالحجار (١)

اما شعرها فلم يجمع منه الا القليل في كراسة عنوانها بنت فكر وها نحن نذكر منه بعض ما استحسن

قالت تهنئ جميل باشا بولاية حلب سنة ١٨٨١

افديه لا افدي سواه جميلا * اولى المحب تعطفاً وجميلا
بدر عنت دول الجمال لحسنه * فابى لذا تمثاله التمثيلا
فاذا تجلى فوق عرش كماله * تجثو له زهر النجوم مثولا
واذا توارى في حجاب سنائه * لا تبلغ الجوزا اليه وصولا

وقالت وقد اقترح عليها في تهنئة

من كل غانية زهت بجمالها * ودلالها كالروضة الغناء
ماست كغصن فوقه بدر له * مرأى الثريا في بديع بهاء
بحواجب مقرونة قد اوترت * قوساً ترن بها سهام فنائي
ان كلمت صباً بنبل لحاظها * كان الشفاء له بعذب الماء
حتى ترد اليه ذاهب روحه * فيعود معدوداً من الاحياء

وقالت :

من كان من اهل الفضائل والنهى * وغدا اسير شمائل وعيون
يهوى الجفاء من الحبيب فان جفا * يزدد به كلفاً وفرط شجون
يشكو له و يظل يشكر فعله * ان التعفف شيمة المفتون

---

(١) المرحوم باسيل حجار صاحب الصوت الحسن المشهور

وشطرت الابيات المشهورة الاتية

للعاشقين باحكام الغرام رضا * يسون صرعى به لم يأنفوا المرضا
لا يسمعون لعذل العاذلين لهم * فلا تكن يا فتى للجهل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا * ذاك الذمام وقد ظنوا الهوى عرضا
جاروا وما عدلوا في الحب اذ تركوا * عهد الوفيّ الذيّ للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا * وكان يزعم ان الموت قد فرضا
اصابه سهم لحظ لم يبال به * فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فما ابتغى بدلا منهم ولا عوضا
تقطع القلب منه بانتظار عسى * فسام صبراً فاعيى نيله فقضى

وقالت تطالب احد الروءساء بانجاز وعد

ياذا الوفا والدين انت وليه * وعلاء فضلك دونه الجوزاء
هل تذكر القول الذي سمحت به اا * نفس النفيسة واليد البيضاء
فالوعد عند الحر دين ثابت * وبوعد مثلك يحسن الايفاء
انجز به واقبل ثناي ودم على * طول المدى تخضع لك البلغاء

وبهذا القدر كفاية

١٣ الشيخ ابرهيم الحوراني

ولد بحلب في ١٤ ايلول سنة ١٨٤٤ وتوفي في ٢ شباط سنة ١٩١٦ في بيروت

هو ابرهيم بن عيسى بن يحيى بن يعقوب بن سليمان بن فرح القتاني الحوراني

نبراس العلوم بل شهابها الساطع · وعنوان الادب بل بحره الزاخر الجامح · ورث العلم كابراً عن كابر ، فهو عالم شاعر وحفيد عالم شاعر ، ولطالما ارقص اعواد المنابر على الحان منظومه ومنثوره ، وانطق السنة الاقلام بفصيح مبتكره ومأثوره ، وكشف عن مطوي المعاني فضوّع الاقطار باطايب منشوره

وهو وان كان حلبي المولد ، فانه حمصي المحتد ، عاد به ابوه بعد ميلاده بسنة الى وطنه حمص ، فقضى بها فتوته * ثم رحل عنها مع ابيه الى دمشق سنة ١٨٦٠ وهو في السادسة عشر من العمر ، فظل بها الى سنة ١٨٧٠ اذ استقدمه رؤساء المدرسة الكلية الاميركية بكان في بيروت ، ليدرس فيها علوم البلاغة والرياضيات والمنطق ، فالقى فيها عصا الترحال ، الى ان دعاه داعي الزوال

كان يسمي نفسه حلبياً لمولده بحلب ويقول مولدي في دار كذا (ويعينها) بحارة (بجارة) الزبال من محلة الصليبة ، كما روى لي ذلك غير واحد من فضلاء واعيان حلب عن المترجم نفسه ، فلا بدع بعد هذا اذا ما ضممناه الينا ضم المستهام · وترجمناه في رأس شعرائنا وعلمائنا الاعلام ، وحرصنا على ذكره حرص البخيل على انفس كنز وجعلنا اسمه في عنق هذه الرسالة اكرم ذخيرة واجل حرز

ونحن نلخص ترجمته هذه عن ترجمة مطولة نشرت في المجلد الثامن من مجلة المقتبس الغراء بقلم صديقنا العالم المؤرخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء المجمع العلمي بدمشق

كان طويل القامة ، ممتلئ الجبهة ، حنطي اللون ، روماني الانف ،

اجش الصوت، وخطه الشيب قليلاً في آخر حياته ، وكان حاد الطبع سريع الرضى ، كثير الجلد لا يمل البحث والمراجعة ، سريع الخاطر واسع الحفظ ، دقيق البحث في الوضع واللغة والترتيب واسع الاطلاع ، يسير بالقارئ بين حزون المباحث وسهولها ، عرّب وصحح والف ٢٥ كتاباً ونيف ، فهو بلا ريب من اركان نهضتنا العصرية ، واعيان ناشري ادابنا العربية

درس في صباه مبادئ الصرف والنحو والحساب في حمص ونظم المواليا والزجل في الحادية عشر ومن ذلك قوله وكان يتغنى به في حلب (سبعاوي)

يا ساكن البان صبري من بعادك بان

يبكي دماً كلما غنى حمام البان

سرّك كتمته ولكن من دموعي بان

والدمع فضاح ارباب الهوى في الصبا

يا روح عطفاً عَلَى العاني اسير الصبا

مولاي شكواي الطف من نسيم الصبا

وان كان يهتز عطفك يا غصين البان

وفي السابعة عشر من عمره دخل المدرسة الاميريكية في عبيه من لبنان وذلك في ١٨٦١ فظل بها الى السنة ١٨٦٤ ولما فارق المدرسة المذكورة عكف عَلَى الدراسة والمطالعة فتلقى الرياضيات والفلك والمنطق عَلَى العالم المشهور الاستاذ ميخائيل مشاقة الدمشقي ، والطبيعيات والكيمياء عَلَى الاستاذ النطاسي يوسف دمر ، ومبادئ الانكليزية عَلَى معلمة انكليزية ، عَلَى انه استفاد

من اكبابه على المطالعة اضعاف ما استفاده من اساتذته كما هو معلوم عند العلماء ، وقد انشأ مقالة بهذا المعنى عنوانها انا معلمي ، ولا بدع فالاستاذ يلقن المبادئ كما يلقي الزارع الحب على الارض فان لم يتعهد التلميذ ما ألقي في سمعه بأمطار الدراسة والمراجعة ونسيم الذكر والتنقيب والمطالعة ، كان تعلمه كالحبة أُلقيت على ارض جرداء ، او صخرة صماء ، فتقاذفتها رياح النسيان واستأكلتها نمال الهوان

ثم قدم بيروت كما سبق الكلام وصار يدرّس في المدرسة الكلية الاميركية وفي مدرسة البنات وفي المدرسة البطريركية ، وله اليوم من تلاميذه ابناء العرب المنتشرين في اطراف الارض طائفة كبيرة فيها الاطباء والعلماء والادباء المعاصرين ، واتصل بالعلاّمة الاستاذ كرنيليوس فانديك الطبيب الذكر ورصد معه الكواكب ثم اتخذ منظاراً وبات يرصد به في بيته

ثم تولىّ انشاء النشرة الاسبوعية وهي المجلة التي يصدرها المرسلون الاميركيون الافاضل في بيروت منذ سنة ١٨٨٠ فجعلها روضة دانية القطوف بثمار علمه وآثار قلمه ، فانه كان عالما بالجبر والهندسة والمنطق والجغرافية السماوية والانساب والكيمياء والنبات والحيوان وسائر الآداب العربية ، وكان خطيباً بليغاً فكهاً وافر الاطلاع شديد البحث ، له طائفة من الاوضاع العامية والتراكيب الفصيحة العصرية وشيء كثير من المعرّب ، وكان كاتباً فصيحاً عصريا يختار التعبير الواضح باللفظ البليغ والتركيب الفصيح والعبارة الموجزة ، ولا سيما في العلميات فلا يثقل ذهن المتعلم باحمال من الكلام تبهظه فيجبن عن التقدم في مسالك الطلب ، ولا يسير به في طرق طويلة مستوعرة من التعبيرات فيضل طريق الفهم ، وهذا ما لم يوفق

اليه كثير من علمائنا فاطالوا في المتون العلمية ، ثم طولوا في الشروح والحواشي والمهمل والغريب والنادر وغيره ، حتى تشعبت على الطالب وجوه القصد ، وتحير في كثرة مذاهب الطلب ، واستبعد الوصول الى الغاية . فتولاه اليأس من بلوغ المرام ، فانصرف عن درس مبادئ لغته ، وهذا ما دعا اكثر فتيان المدارس عندنا الى طلب اللغات الاجنبية ولا سيما الفرنسوية ، حتى عجز اكثرهم عونا كتابة سطرين سالمين من الغلط بهذه اللغة الشريفة بل ما اكثر من درس اللغة سنوات وهو يعجز عن تجنب الخطأ في كتابته ، وقد كدنا نخرج عن الموضوع

والف وعرّب كثيراً من الكتب المفيدة وكتب في كثير من الجرائد والمجلات . فمن اقدم ذلك النجاح ولسان الحال والمحروسة ومن المجلات الجنان والمشكاة والمقتطف والصفا والطبيب والنشرة الاسبوعية والمباحث .

اما مؤلفاته فمنها الشهب الثواقب في الجدل ، وجلاء الدياجي في الالغاز والمعميات والاحاجي ، ومناهج الحكماء في مذهب النشوء والارتقاء والحق اليقين في الرد على داروين ، والايات البينات في عجائب الارض والسماوات ، وضوء المشرق في علم المنطق ، والاعراب في نهج الاعراب ، وشمس البرهان في علم الميزان ، والكوكب المنير في علم التفسير ، وديوان شعر كبير ، واسفار ذات السوار (رواية)

ومن المعربات المواعظ الميلادية ، ومواعظ مودي ، وتفسير التوراة ، وسكان وادي النيل ، ورجال التلغراف ، وسيرة القديس اغوسطينوس ، والطريق السلطانية .

وكان ينزع الى المجون والاحماض في حديثه ، وكان سريع الخاطر مبدهاً

اما شعره فاكثره كشعر العلماء واليك شيئاً منه ٠

٠قال في صغره في بدوية

بدويةٌ لاموا العميد بحبها * فاجبتهم والدمع احمر قاني

ما شان فيها انها بدوية * ترمي السهام بمهجة الحوراني

وقال في صباه من قصيدة

من كل غرثى وشاح ما دنت ورنت * الا رمت بسهام الطرف مضناها

تظل نيران ابراهيم موقدة * منها كليم الحشى في طور سيناها

هيفاء ترفل في برد السنا وانا * اختال في مثل ما يشكوه جفناها

بالوصل ابخل غادات الورى خُلقت * وعند سفك دم العشاق اسخاها

قال في الكهرباء

كأني في الهوى العذريّ عصف * وليلى في المحاسن كهرباء

دنت مني ومسّتني لهذا * علقت بها كما حكم القضاء

وقال في الكأس

في هذه الكأس الهلاك فلا تذق * حبَب العصير صديد اهل جهنم

عكست لظى لألأها من نارها * وحبابها نفث الحباب الارقم

وقال

هذّب كلامك في نظا * مك قبل نقد العالم

فالشعر كالمرآة تُر * سمُ فيه عقل الناظم

ومن محاسن شعره قوله في صدر قصيدة

حمل النسيم لنا عبير شذا كا * ظبي الخيام فرحتُ من اسراكا

ومنها

مغنى توهمتُ السماء رحابه * لما رأيت اهيله املاكا
وظننت سكان المضارب انجما * لما رأيت خيامه افلاكا

وبهذا القدر كفاية للدلالة على مقدار فضله

١٤ قاضي القضاة الشيخ بشير الغزي

ولد بحلب سنة ١٢٧٤ هجرية وتوفي بها سنة ١٣٣٩

١٨٥٧ — ١٩٢١ مسيحية

هو الشيخ محمد بشير الغزي ابن الشيخ هلال الالاجاقي ، اخذ لقب اخيه لامه الشيخ كامل الغزي لانه رباه صغيراً

طود حلم ووقار وقطب اهل العلم في هذه الاقطار كان متبحراً في علمي اللغة والادب ، يحفظ ويروي من نوادرهما ما يورث العجب ، وكان اماماً في علوم الفقه والحديث والمنطق اخذ العلم في حداثته عن اخيه صديقنا العالم الشاعر الشيخ كامل الآتي الذكر وكان يأخذه العجب من سرعة فهمه وشدة ذكائه وكان منذ حداثته آية في الحفظ حدثني اخوه الصديق المشار اليه قال كنت القي عليه الدرس من مطولات الدروس فاغيب عنه ساعة ثم اعود فيؤديه لي عن ظهر قلبه كانما هو يتلو في لوح مسطور ، وقد حفظ الفية ابن مالك في نحو خمسة عشر يوماً ومثلها امالي القالي ومثلها الكامل للمبرد وغير ذلك من كتب العلم واللغة والادب

وكان بيننا وبينه صداقة اكيدة ومعاشرة طويلة العهد وطيدة ، فخبرنا منه فاضلاً زهيد العين ، عزوفاً عن الدنيا ، حصين الضمير ، غضيض الطرف ، صادق العهد ، مهذَّب اللسان ، وكان من المغرمين بانشاء حجة العصر الشيخ ابرهيم اليازجي ومن المعجبين بفرط تبحره في فنون اللغه وادابها ، وكان يقول لنا هذا صاحب هذا القرن السعيد ومجدد عهد ابن العميد ولا عجب فالفضل يدركه ذووه

كان طويل القامة ممتلئ البدن مستدير الوجه ، حنطي اللون خفيف شعر الوجه «انيس الطلعة» دمث الطبع ، اين الجناح ، وقور النفس ، بعيد غور الحلم ، جميل النية ، نقي الصدر . فصيح العبارة بليغها ، رخيم الصوت ، يرتّل القرآن ترتيلا ترتفع له حجب الاسماع

له الشمسية في المنطق وقد طبَّقت شهرتها الافاق الهندية تبلغ مائتي بيت ونيّف وله رسالة في التجويد ، وله رسالة سماها حدائق الرند ترجمة ترجيع بند عرّبها عن التركية فجاءت منظومة كأنها عربية الاصل ، وكل من عانى التعريب يعلم صعوبة السبك والنقل الى القوالب العربية نثراً فكيف به نظماً واليك شيئاً من عبيرها

كم في السماء من كُرَاتٍ جلّتِ * والارض عندها كبعض ذرّةِ
وكم من الشموس والاقمار * بها وكم من ثابت وجاري
وكل شمسٍ معها توابعُ * وكل تابع له متابعُ

ومنها

لا تنتهي ذرّاتُ هذه الارضِ * وليس يمكن انفكاكُ البعضِ
وجوفها مشتعل بالنار * وقشرها قد شقّ بالبخار

ومنها

للضعف صار الظبيُ لقمة الاسد * والذئبُ اضحى طعمةً له النَقَدْ

ومنها

لدرّه قد صدع الحمارُ * لصوته قد حبس الهزارُ

ومنها

ظلمُ القويّ للضعيف جاري * في الارض والهواء والبحارِ

وكلها عَلَى هذا النمط الانيق

تولى التدريس في عدة حلقات من جوامع حلب ثم انتُخب عضواً لمجلس المبعوثان التركي . ولما اتاح الله الاستقلال لسوريه عينته الحكومة العربية يومئذٍ قاضياً عَلَى ولاية حلب ثم سمّي بعد دخول العساكر الفرنسوية اليها وتسميتها دولة حلب قاضي القضاة وهو اول من لقّب بذلك منذ دخول الترك هذه البلاد

١٥ فيكتور خياط

هو فيكتور بن فتح الله بن سمعان الخياط والدته شقيقة كاتب هذه الرسالة ولد بحلب سنة ١٨٧٨ وتوفي في ديار بكر سنة ١٩١٠

طلع غصناً نضيراً في رياض الادب ، بل كوكباً منيراً في سماء حلب ، تنقاد شتى المعاني لانفاظه طائعه ، وتبرز من منسجم نظمه في حلل رائعه ، وكان يرجى ان يُرى له فضل جزيل ، لو انصفه الدهر واين الانصاف من لئيم بخيل

كان ممتلئ الجسم ، مليح القوام ، يميل الى الطول ، جميل المحيا ، اسود الشعر ابيض اللون مشرّباً قليلاً بحمرة كبير الرأس ، لطيف اليدين ، حسن الطلعة بادي البشر ، واسع الجبين ، جميل الانف

وكان يتكلم ويكتب بالفرنسوية والطليانية والتركية ايضاً ، سريع الحفظ ، جيد الذاكرة ، غزير الادب ، سديد النقد ، حسن الاختيار دقيق الوصف ، مستعذب النظم ، حلو الحديث ، رخيم الصوت ، عارفاً بفنون الغناء ، طيّب النفس ، شريف الخلق ، كأنه صيغ من معدن اللطافة ، وجبل بماء الرقة

نظم الشعر فتيّاً وشعره كخلقه على حدّ قولهم كتابة المرء مرآة نفسه فهو يكاد يسيل رقةً وانسجاماً واليك من ذلك قوله في جزيرة الامرآء احدى جزر القسطنطينية المسماة بالتركية بيوك اطه

سارَ فلكُ الصفا بنا في المسآء * داحراً حملة الدُجى والمـآء

راح ينسلّ يمنةً ويساراً * بين دعي المنا ووقع الغناء

وصفير يحكي العويل صداه * وضجيج يفضي الى الجوزآء

ومنها في وصف السفينة المعروفة عندنا بالبواخر الخيرية

فاعتلى المركب الصغير كمنطا * دِ يروم المسير فوق الماء

تارةً ينثني وطوراً تراهُ * يتثنى كالحية الرقطاء

موجةٌ بعد موجة بعد اخرى * كجبال يمدن في البيداء

زجرَ الريح فوقها ثم ارغى * زَبَدُ البحر منذراً بقضاء

وعلا من منافذ الفلك صوت * كزئير مروّعٍ وعـواء

ودخانٌ يثور فيه شرارٌ * صاعداً كالغمام نحو الفضاء

وصراخٌ فجهشةٌ فبكاءٌ * فوداع الآباء للابناء

ومنها

وترآت لنا على البعد ارضٌ * خالها البعض شعلةً من ذُكاء

وفريق قضوا عجاباً وقالوا * تبزكٌ قد هوى من الخضراء

حملته البحار فاعجب لنارٍ * لم تصبها المياه بالاطفاء

* * *

كلما سارت السفينة بانت * تلكمُ الارضُ فتنة للرآئي

قد احاطت بها الجزائر والاء * لام والرابيات كالخفراء

ومروج نضيرة وغياض * ومريعُ الحدائق الغناء

وهي طويلة وكلها على هذا النمط الانيق

وكتب الينا يقرظ كتابنا منهل الورّاد ، وكان يرانا بعين ملؤها البرّ والوداد

رفعت لك الاداب خيرَ بنودِ * وسما بمدح علاك بيت قصيدي

ولقد زها روض الفنون وأينعت * افنانه بفعالك المحمودِ

اسست للنقد المبين قواعداً * في أقوم التوطيد والتحديدِ

ومنها

فغدا الكتاب قلادة الحسناء في * جيد الزمان بدرّه المنضودِ

وخزانة الادب الصحيح وروضة اا * فضل الرجيح وقنيةً لمريدِ

* * *

فاذا كتبت فانت افضل كاتب * واذا نظمت فانت خير مُجيدِ

واذا نطقت فساجعات حمائمٍ * واذا خطبت فمطربات العودِ

* * *

لك في حمى الشهباء صيت طائرٌ * وبمصر ذكر وافر التحميدِ
فالفضل يذكر عند ارباب النهى * والعرف يعرف باشتمال العودِ

* * *

لا بدع إن موضوعه ارّخ مما * في النقد نعرف قيمة المنقودِ

١٩٠٧

وكان لازال مذكوراً بأكرم الشيم والخلال عضواً في محكمة الحقوق البدائية ثم سمّي عضواً لمحكمة الاستئناف الحقوقية في ديار بكر فذهب اليها ولم يلبث بهـا بعض اشهر حتى اصيب بحمى لم ترحم شبابـه الرطيب ، فقضي وذكره باقٍ في افواه عارفيه كالطيب ·

١٦ الحاج مصطفى الانطاكي الحلبي

لم نقف علَى سنة مولده ولا تحققت لدينا سنة وفاته ويظن انها كانت سنة ١٨٩١ مسيحية في القسطنطينية

شاعر سريع الخاطر · له من التقريض الحرب والعامر ، رأيناه في حداثتنا مرة واحدة ينظم بديها ، ويجيد وصفا وتشبيها ، ثم وقفنا في هذه الايام علَى قصيدة بخطه نظمها سنة ١٢٨٦ هجرية بحلب ليست من جيد شعره ، علَى انه كان ذا حظ موفور في نظم الاغاني المعروفة بالقدود وسترى مثالا من الشعرين

وكان ربعة الى القصر ، مليح الوجه ، اسود الشعر والعينين ، صغير الرأس ابيض اللون ، صغير الانف والفم ، رقيق الشفتين لطيف الصوت

تقلبت به الاحوال فقصد بغداد وتعرف الى احد تجارها واشتغل مضاربة بالعاديات مدة من الزمن ، وقد اخبرنا ثقة رآه هناك وعاتبه عَلَى بعده عن وطنه واهماله الشعر فقال له انها بضاعة كاسدة وهذا الرجل — يريد التاجر البغدادي — يثق بي و يمدني بالمال للمتاجرة بالعاديات ، ثم انه قصد القسطنطينية ولعل ذلك بغية بيع ما كان لديه من العاديات ، ثم توفي بها وقيل ان شعره الكثير ظل بين اوراق السيد ابي الهدى الصيادي واختلط بها والله اعلم

وهاك القصيدة التي اشرنا اليها اعلاه

اقلوا ملامي وانصفوا واضح العذر * ورقوا له وارثوا لميت الهوى العذري
وقد جزتموا في اللوم حداً وجرتمُ * فخرتم وما حزتم سوى الاثم والوزر
خلعت عذاري في العذارى ولم اخف * ملاماً بربات الاساور والبزر
وملكت رقي للهوى فاسترقني * ولم يخطر السلوان يوماً عَلَى فكري
اعلل نفسي بالتواصل واللقا * وان كان من اهوى مصراً عَلَى الهجر
جرت عادة العشاق قبلي بانهم * يبيتون طاوين القلوب عَلَى الجمر
هنيئاً لمن يعرف الوجد والهوى * ولم يدر طعم الحب يوماً مدى الدهر
الى كم اقاسي جور احور فاتن * اغنّ ربيب فاتك ناحل الخصر
نفور بدا تحت الغلائل يثني * كريحانة تهتز من نشأة السكر
طليق المحيا يزدري الشمس نحره * ومن فرقه الوضاح يا خجلة البدر
وعن جيده مذ راح يرفع شعره * فزحزح ذيل الليل عن غرة الفجر
ترى الموت مقرونا بمقلته التي * لهاروت اوصت بالكهانة والسحر

متى حركت بالغمض جفناً تسابقت سهام المنايا للقلوب على الفور

ومنها:

لعمري ان تبغي بقاء مودتي فلا تمدحن غيري بنظمٍ ولا نثر

سوى الشهم . . . .

فقوله البزر هكذا وجدت بخط يده وهو لا شك يريد الازر جمع ازار والبزر لغة عامية بحلب وقوله وعن جيده مذراح الخ لا محل لهذه الواو العاطفة الا ان يقال انه اراد وقد راح يرفع شعره عن جيده وحينئذٍ لا محل للفاء من زحزح اللهمّ الا ان يقال تزحزح بجمل زحزح لازماً . وقوله ترى الموت مقروناً بمقلته الخ هو من اقبح التركيب كما يظهر بادنى تأمل وقد اعاد هذا المعنى بنفسه في البيت التالي ولكنه اخف على الاذن مما قبله ، وعلى الجملة فليس هذا من الشعر الرصين

وقال رحمه الله

حاز الجمال بخدّه المتورد وبدا يصول برمح قدّ امردِ

سلّت لحفظ الدر في كنز اللمى لحظاهُ سيفي مرهف ومهنّدِ

فسمت انامله بورد ثغره ياقوتة نظمت بسلك منضدِ (كذا)

نسجت ايادي الحسن ابهى حلة ضمت غلائلها قوام محمدِ

ولهُ

كفى بقلبي غراماً حين ذكراكِ يذوب شوقاً الى باهي محياكِ

يادمية الحسن يامن في الهوى حكمت على المحبين في التعذيب عيناكِ

تملكتني صبابات الهوى فانا وحدي بكل الذي يا هند يهواكِ

لم يبقِ وجهكِ في شمسٍ ولا قمر حسناً وللبرق نوراً من ثناياكِ

نسيم زهر الرُبى ما لذّ مورده   لولا يبلّغ للمشتاق رياكِ
يسرّ قلبي الهوى والدمع يظهره   يا من لطرف شجيّ لم يزل باكي
نمّت عليّ دموعي في الهوى فانا   اموت وجداً واحيا عند روٴياكِ

قوله في البيت الاخير روٴياك يريد روٴيتك

ومن احسانه

على ياقوت وجنته تبدى   زمرّد عارض بالنبت اخضر
على تلك المحاسن اذ توفت   يُكرّر اربعاً الله اكبر

ومن قدوده المشهورة على لحن اذا انجلوا الخ

مذ اقبلوا اخجلوا الاغصان بالقد المائل
وكم قتيل بكحيل اجفان حلو الشمائل
ومن لمى ثغره الالمى اهنا مشروبي
وجيد المحبوب افتنا بالحيل والميل قد ذبت بالميل

دور

على الوتر ورخيم العود طافت بالكاس
اخت القمر فتنة الوجود منية الناس
وقد ظهر بالشعر المعقود ضوء الالماس
يروي الخبر عن عقد البنود تحت الغلائل

ومن قده على لحن يا محني يدين العصفوره

عليّ قدر بالحسن   عن كل وصف مستغني
عليه لم ازل اثني   ان جار او لن يجورا

دور

وزّانُ خديهِ احسنْ في نقطة الخدّ الايمن
انا وقلبي مسترهَنْ في قبضتيه مأسورا

ومن قدٍّ آخر

منية الارواحِ مدّت بالتلاقْ وتناهي الوجد مني للعناق
ثم مدّت تبتغي حل النطاق معصماً يشكو لها ضيقَ السوار

١٧ . نصر الله الدلال

هو نصرُ الله بن عبدالله الدلاّل خال كاتب هذه الرسالة الثاني وشقيق جبرائيل المشهور المتقدم الذكر ولد بحلب في الثالث عشر من تموز سنة ١٨٤١ وتوفي في بيروت في الخامس عشر من نيسان سنة ١٨٨٣

عَلَمُ فضلٍ وجمال ، وطودُ حزمٍ وكمال ، جمع بين الرقة والمهابة ، واصالة الرأي والنجابة .

كان يحسن التكلم بالتركية والفرنسوية والطليانية ويكتب بها كلها ، وكان ذا وقوف على اكثر العلوم العصرية ولاسيا الطب والطبيعيات والفلسفة والادبيات ، لكنه مُني منذ الثلاثين من عمره بعلة في المعدة حالت دون ما كان ينويه من مصاحبة القلم وملازمته . حتى قضى في بيروت فجأة بتلك العلة .

وكان ربعة القوام ممتلئ الجسم في اول شبابه كما يعلم من رسم له في ذلك العهد ابيض اللون مشرَّباً بلونٍ وردي ، ازرق العينين ، اشقر الشعر ، جميل المحيا ، بهي الطلعة ، تلوح على محياه انوار الوقار والذكاء ، رزيناً فصيح

العبارة نقيّ اللفظ ، يخوض في سائر المعارف ، وله رسالة عنوانها منهاج العلم طبعت في حلب سنة ١٨٦٥ في اقسام المعارف ومراتبها وفوائدها . وله كتاب عنوانه اثار التدقيق في اصول التحقيق طبع في بيروت سنة ١٨٨١ وموضوعه ضرورة قيام الاحكام في المجتمع البشري لدوام عمرانه قياساً على احوال الممالك الثلاث في الكون ، وهي الجماد والنبات والحيوان ، ولعله نظم شيئاً من الشعر ولم يصل الينا ، اذ كان منزله مثابة شعراء وقته وفضلائه كفرنسيس المراش وانطون الصقال وابي بكر زبيده وغيرهم وقد مدحه الشاعران المتقدمان ، كما سبق ذكره في ترجمة احدهما .

١٨ ﴿ الشيخ بكري الزهري الكاتب ﴾

لم نقف على سني ولادته ووفاته ، ولا على غير ذلك من علمه وسائر حالاته ، وانما وصل الينا من شعره ما نثبته بالحرف ، وهو كما ترى على غاية من التكلف والضعف .

مهفهفٌ قد زهت خداه بالخفرِ ... وقد اتى لحظهُ في آية الحورِ
يا لائمي فيه لو شاهدت صورته ... امسيت مثلي حليف الوجد والقدر
خطّارُ قامته عسّال ريقتهِ ... انوار طلعته غشت سنى قمرِ
ان الكواكب ان لاحت محاسنهُ ... تسهو لديه حياءً سهو معتذر
يروي لنا وجههُ نور الصباح كما ... روى لنا ثغره عن نشره العطر
لله درّ جفون في القلوب لها ... هتك وفتك فلم تبقِ ولم تذرِ
صبح الجبين بدا من ليل طرته ... لولاه طال عليّ في النوى سهري
قوامه غصن بان والجمال له ... في كل جارحة نوع من الثمر

اقديه ظبياً نفوراً من تلفته ... ارام نجد غدت في التيه والحيرِ

١٩ ﴿ الشيخ محمد الورّاق ﴾

ولد بحلب سنة ١٢٤٥ وتوفي بها سنة ١٣٠٨

١٨٢٩ - ١٨٩٠

كان عالماً فقيها ، وفي علمي اللغة والحديث نبيها ، وهو اخر عالم فقدته البلاد السورية ، في فني الموسيقى والالحان العربية ، اذ فيما نظن ان وفاة الاستاذ ميخائيل مشاقه الشامي هي قبل هذا التاريخ

ويُروى ان لهُ عدة مجاميع ضمّنها من الطرائف والظرائف طائفة كبيرة مما له ولغيره ، فهل في الحمى اديب عالم بمكانها ، فينتضيها انتضاء السيوف من اجفانها ، ويبرزها ابراز النفائس من صوانها

وكان اوصى ان لا يُحنَّط وظن بعضهم ان ذلك لفرط شحه ، فان كان ما دفعه الى ذلك ما ظنوه ، فهو من الغرابة بمكان

وكان يقرض الشعر ولم يصل الينا الا ما نثبته هنا ، قال مخمساً

بانت سعاد وحبل الودّ قد صرمت ... واودعت في الحشا ناراً وما رحمت
بالله ان بعدت عن ناظري ونأت ... خذني بعيسك يا حادي فان ظمئت
ردها دموعي ولا تأمن من الغرقِ

لعل في القرب ان احظى ولو نفسا ... فانني في النوى قد ذقت كل اسى
ويا حويدي أنخ بي ان اتيتَ مسا ... وحسبك النار من احشاي مقتبسا
واحذر تداني مكان القلب تحترقِ

وله في بيع الارض المعروفة بارض المشنقة بحلب

يا جاهلاً ما احمقَهْ　　　وافق اهل الزندقَهْ
يقول لي من رافقه　　　وافق شنٌّ طبقَـهْ
بكبّةٍ مشويّـةٍ　　　قد باع ارض المشنقهْ

ولما وقف على هذه القصيدة صديقنا رأس الظرفاء الشيخ كامل الغزي قال قد اراد الشاعر ان يحطّ من قدر البائع والحقيقة انهُ

بكبّةٍ مشويّةٍ　　　وخمرةٍ معتّقهْ
ووجنةٍ ناعمـةٍ　　　قد باع ارض المشنقَهْ

وللورّاق شعر كثير لم نقف عليه

٢٠ ﴿ القس أوغسطين عازار ﴾

لم نقف على مولده ولد بحلب وتوفي بها في ٢٩ شباط سنة ١٨٨٨

شاعر ذو قريحةٍ فياضه ' وسليقةٍ في بحار الشعر خوّاضه ' يتصرف بالكلام تصرّف العاجن بالمعجون ' فاذا هو طوع براعته منظوم موزون ' لاحاهُ الدهر فبدل صفو ايامه بالكدَر والالم ' واذاقه من الشقاء والنكد ما يحلو في جنبه العلقم ' فقضى في شرخ الشباب ' شهيد الفاقة والاوصاب

كان قصير القامة ' ضعيف البنية ' عصبي المزاج ' اسمر اللون ' اسود العينين ' حالك الشعر ' اسبل اللحية ' صغير الانف والفم ' مخروط الوجه ' رقيق الشفتين ' طيب الخلق ' حلو المشرة ' فصيح العبارة ' جيد الحفظ ' مليح المزاح

وقد عرفناه ايام فتوّتنا معرفةً لها منا اطيب ذكر ' وصحبنا صحبةً اصفى من ماء الغمام او هي الخمر ' ومرّت لنا وفتية من محبي الشعر '

اجتماعات به كانت مواسم العمر ، وليال ساهرات كانت غرر الدهر

ومع ان شعره كثير فقد لعبت به ايدي الشتات فلم نعثر منـه الا على غيض من فيض قال يهنئ البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٨

نادي المنادي بوحي الله ما كُتبا في اية النصر ان الليث قد غلبا

ليث من الانس تخشى الارض سطوته في الغرب والشرق أن عجماً وان عربا

ومنها .

لذا السياسة في الدنيا له اعترفت بالفضل واتخذته سيّداً وابا

به استعانت سلاطين العقول على تعزيز ما هان او تذليل ما صعبا

وقال يهنئ القس بولس الحكيم بارتقائه اسقفية حلب على الطائفـة المارونية ١٨٨٥ وقد ضمن التاريخ آية

قد قام في الشهـداء بولس عصره يرعى نفوس المؤمنـين ويحرسُ

ناديت ما قد ارّخت شمس الثنا انت الاناء المصطفى يا بولس

ومن شعره ونظمه في رثاء العالم انطون الصقال المتقدم ذكره

هوى طود بيت العلم وانهدّ ركنه وبيت الحجا سُلّتْ دعامته الكبرى

لذاك على تأبينه العلم والحجا قد اتفقا ما الدهرُ ابقى له ذكرى

وكان هنأنا بقصيدة لم نعثر عليها بين اوراقنا ولا نذكر منهـا الا بيتين او ثلاثة قال في مطلعها

سبت الغزالة بالملاحة والحوَرْ انسيّة زُفت الى ظبيٍ اغر

ومنها

خلقت كما شاءت فدونك آية ٭ من ابدع الايات في خلق الصوَر

وختامها

لا زالَ قسطنطين عصرك تاهياً ٭ متأمراً فبفضلك الدهرُ افتخرْ

وقال يرثي فتاة في مقتبل الصباء

شموساً قد عدمنا ام بدورا ٭ فارخت ظلمة الليل الستورا

تُرى ماذا جرى في الكون حتى ٭ توارت نيرات الافق نورا

واي النائبات السود دارت ٭ فقد ابت الدوائر ان تدورا

واية دمية قد غادرتنا ٭ فعطلت الدمى منها النحورا

ومنها

توسدت الفلاة فتاة حيّ ٭ رحيب الصدر كان بها جديرا

وقد وقع له في شعره تراكيب ضعيفة وجملٌ بقي معناها في ضميره ، والبعض منها مختلّ المعنى كقولة توارت نيرات الافق نورا ليت شعري ما يُفهم من ذلك ؟ ولعله يريد توارت انوار الكواكب في نواحي السماء ، فلم يوفق لسبك هذا المعنى بما يناسبه من اللفظ فنظمه مظلماً كما ترى . وكقوله فقد ابت الدوائر ان تدورا ، ما الذي يفهم منه بعدما صدّره بقوله واي النائبات السود دارت ، اما قوله رحيب الصدر كان بها جديرا في رثاء فتاة ، فهو من نقص الذوق بمكان ، ولم يوقعه بذلك كله رحمه الله ، الا سرعة النظم ونقص التثبت ، ولا ريب انه لو فُسح له في الاجل ، واعاد نظره فيما تقدم وامثاله من شعره ، لما غادر فيه لناقد سبيلا

وله كتاب خلاصة المعرفة في اخص قضايا الفلسفة وكتاب آخر عنوانه وحدة النفس البشرية والكتابان مطبوعان

٢١ ﴿ عبدالله افندي الجابري ﴾

ولد بحلب وتوفي بها نحو سنة ١٢٢٠

مسيحية ١٨٠٥

من اسرة لها في المجد أعراق ، وفي طلب العلم وقرض الشعر انجاد واعراق . اما السيد عبد الله المترجم فلم نتوصل الى الوقوف على سنة ميلاده ولا غير ذلك من شؤونه التي كنا نود ان نشبع ترجمته بها وقد علمنا انه تقلد منصب الافتاء بحلب سنة ١٢٠٠ هجرية اي سنة ١٧٨٥ مسيحية ، ووقفنا له على شعر قليل ، ينبي عن جله في القريض عريض طويل ، ويا حبذا لو زادنا منه الصديق عبد الحميد افندي الاتي الذكر ، فبمثل هذا النظم يقال شعرٌ اغنى عن خمر

قال رحمه الله واجاد

ساغمض اجفاني على مضض القذى ... وان حسب الجهّال اني جاهلُ
الى ان يتيح الله للناس دولةً ... تكون سوى الارذال فيها الوسائل

وقال

ولما صفى وقتي مع الحب ساعةً ... حنانيك لو شاهدتني وخضوعي
وادركنا لا كان صاح رقيبنا ... رجعتُ بحال لا رجعتَ رجوعي

وقال مضمناً

اذا كنت مرتاحاً الى الراح دائماً ... ترى عيبهُ حسناً وترضاه مشربا
فصبراً على خير الخمار وضرّه ... بما قلت اهلاً للكؤوس ومرحبا

٢٢ ﴿ محمد اسعد الجابري ﴾

لم نقف على سني مولده ولا وفاته

هو ابن اخي عبد الله المتقدم الذكر تولى الافتاء بحلب بعد ابن عمه احمد افندي الذي تولاه ايضاً بعد عمه عبد الله المذكور ولا نعلم من امره غير هذا على ان النموذج القليل الذي لدينا من شعره يدل على انه كان من رواض القوافي ، وفرسان القريض لا فرسان الفيافي

قال واحسن

يقولون تب والكاس فى يد اغيد　　وصوت المثاني والمثال عالِ
فقلت لهم لو كنت اضمرت توبة　　وعاينتُ هذا في المنام بدالي

قوله بدالي من باب الاكتفا يريد بدالي بداء ، اي تغيّر رأيي على ما كان عليه

وقال مخمساً الابيات المشهوره

لم يبقَ في الدنيا مواخْ　　زمنُ الرجا ولى وشاخْ
يا ناعياً زد بالصراخ　　خلَتِ الرقاع من الرخاخ
وتفرزنت فيها البيادق

هي جيفةٌ حظُّ الكلاب　　فترى الكرام بها تُصاب
ولئامُها تُعطى النصاب　　وسطا الغراب على العقاب
واصطاد فرخ البوم باشق

حكم الالهُ فلا اعتراض　　لرفيعها بالانخفاض
فانظر الى ذا الاعتياض　　سكتت بلابلة الرياض
مذ اصبح الخفاش ناطق

ذهب الخليل مع السمير ... وضع العليُّ على الحقير
واحسرتا ابن الأجير ... وتسابقت عُرُجُ الحمير
فقلت من عدم السوابق

٢٣ ﴿ عبد الحميد الجابري ﴾

ولد في حلب سنة ١٢٠٨ وتوفي بها سنة ١٢٧٤

١٧٩٣ — ١٨٥٦

قال

كن في امور الدين صاح متابعا ... للنقل واجتنب الهوى والوسوسه
واترك لما في العقل يخطر انما ... علم الشريعة ليس علم الهندسه

وقال

وليلة قامت براغيثها ... ترقص مذ غنى لها البق
فكدت من غيظي لافراحها ... انشق لو لا الصبح ينشق

هذا كل ما وصل الينا من ترجمة هذا الشاعر على ان البيتين الاخيرين فيما نظن ليسا من شعره وقد يكون رآهما كما رأيناهما في بعض كتب الادب فاثبتهما في اوراقه بغية تشطيرهما او لسبب آخر والله اعلم

٢٤ ﴿ الحاج صدّيق الجابري ﴾

ولد بحلب سنة ١٢٤١ وتوفي بها سنة ١٣٢٠

١٨٢٥ مسيحية ١٩٠٢

هو ابن عبد الحميد المتقدم الذكر كان من اعيان حلب المشار اليهم

بالبنان . مشهوراً برجاحة العقل وحسن البيان ، رزيناً متوقّر الفهم ، المعياً كامل الحلم .

وكان حسن القامة الى الطول ، نحيف الجسم ، ابيض اللون ، مليح الملامح متوقد النظر ، خفيف اللحية تلوح على وجهه لوائح الذكاء والفطنة .

قال وهو معنى حسن

ايا من يدعي حباً لشخص ٍ اذا حققت ما المحبوب غيرُك
تميل الى الذي تهواه منه وما تهوى سوى ما فيه خيرُك

وقال يصف مدينة بيروت حين زارها

صحراء بيروت زهت نضرتها لا سيما اشجار روض الحرش
قد بسطت اكفها تدعو لمن يزورها بنيل طيب العيش

٢٥ ﴿ محمد نصوح الجابري ﴾

ولد بحلب سنة ١٢٧٧ وتوفي بها سنة ١٣٣٤

١٧٦٠ مسيحية ١٩٠٦

هو ابن الحاج صديق المتقدم الذكر كان معتدل القوام حسن الوجه ابيض اللون اسود الشعر مليح الجملة فصيح العبارة يميل الى العزلة شاعراً المعياً واكثر شعره في الزهد

قال رحمه الله من قصيدة طويلة

كل اللذائذ والامال زائلةٌ وبعد عين يعود الكل في خبر ِ
فليت شعري ما الدنيا وزينتها وما التفاخر بالاموال والدرر

وما التصدر للعليا بجد يد ... للثم ثم امتداد في ثرى الحفر

وقال من قصيدة اخرى طويلة

لي في ذرى الحي احباب قد امتنعوا ... بهيئة الحسن عن تجويز وصلهم

ظلمت نفسي في دعوى محبتهم ... وعن غرامي سموا كالشمس في الظلم

فاكظم رجاءك في ارجاء كاظمة ... واسلم فديتك لا تطمع بذي سلم

واقصر هوى طالما فيه هويت الى ... وهد الهوان وهذا الذل والسقم

هل يجهد الحر في تمليك مهجته ... لمن يرى سلبها من واجب الذمم

٣٦ ﴿ الحاج عبد الكريم بلله ﴾

هو حطيئة عصره ، وابن حجاج قطره ، لم يعرف له شعر خال من الهجاء ولا اشتهر له نظم تنزه عن البذاء ، وكان يتحاشى لسانه الاكابر ، ويخاف قذعه العامة والاصاغر ، وقد تحرش باكثر شعراء وقته ، فكان مجليا على حلبة بهته ؛ ووقع له في عرض مجونه وتلك السخافات ، املوحات استهجنها منه القوم وفكاهات ونكات ، ولا سيما في موشحه الذي اشتهر به ، وسارت الركبان في طلبه ، لما تضمنه من الكنايات والمعاريض ، وهي المعروفة باصطلاح عامة حلب بالتلخين [1] والتعريض ، ولما كان اكثر شعره بل كله من هذا الضرب ، ورأينا ان موشحه المذكور خال من القذع والسب ، وانه هزل لا ذم ، كما ذكر في عرض النظم ، ولم يكن لنا مندوحة عن ذكر شيء من شعره ، وقد الح علينا بعض الادباء بنشر شيء من هذره ، ولا سيما وان من سبقنا من افاضل المؤرخين والمترجمين ، كصاحب اليتيمه وابن خلكان وغيرهما من

(١) قال في الاساس وشتمه ولحنه قال له يا ابن اللخناء

المتقدمين . لم يتحرجوا من نشر فاحش القذع وقبيح السباب ، الى غير ذلك من رفث المجون وهُجر الخطاب ، لاعتقادهم انهم ينقلون ما قيل ، وان ليس على الناقل سبيل ، على ان الكثير من ذلك الخطل اجدر بالستر ، كما ان كتم قليله نقص بتاريخ العصر ، واخلال بغرض الترجمة وبيان اخلاق القطر ، ولما كان في الموشح المذكور ذكر لكثير من قرى حلب وضواحيها ، محرفة من الناظم عمداً الوصول الى ظواهر الممازحة وخوافيها ، رأينا ان نثبتها كما اثبتها الشاعر ونضبطها في الشرح تحرياً للفائدة واتماماً للفكاهة ثم لا بد من التنبيه على ان فيك وفيها وسائر الضمائر المؤنثة تعود على لحية المخاطب في اصطلاح اهل اللخن و (التلخين) وفيكم وفيهم وسائر ضمائر الجمع المذكر عائدة على شارب المخاطَب

وكان المترجَم عارفاً بفن الغناء وله الفة وصحبة مع جماعة المغنين المشهورين في حلب لعهده بارباب الفن وما ادراك من هم وفيهم ابن عبده والحاج اسماعيل الشيخ والدالي والدرويش صالح وابن عقيل واحمد سالم وغيرهم ممن ملكوا ناصية فن الغناء والموسيقى العربية وما فيهم الا كل ذي صوت يسحر البلابل ويهزم الاشجان والبلابل ولهم في الدعابة والظرف نوادر وايات ، وفي سرعة الجواب واصابة المعنى كلمات مستحسنات ، وكانوا في خفة الروح غاية الغايات ، فدخل عليهم عبد الكريم يوماً وهم في فرح عند بعض الاعيان فما وقعت اعينهم عليه حتى استقبلوه باغنية (اكُرُك) يا ياسمين الجنائن على حالك ، وهو من باب التلخين الذي ذكرناه فصبر عليهم ، وهم والقوم يقهقهون وهو يكاد يتمزق غيظاً حتى اتوا على آخره فقال لهم ان رذالتكم تمرّ مرّ السحاب واما شعري فخالد فيكم يا كلاب اكتبوا :

ورب شُداةٍ كالحمير نواهقٍ   بمختلف الاصوات من غير ضابطِ
مزاهرهم دلت على حسن صنعهم   كما دلّت الارياح من استِ ضارط

وقال في مطلع قصيدة هجا بها الشاعر الهلالي الحموي المشهور

اذكرتني تنحنحي وسعالي   وضُراطي في الليل ذات الدلالِ

فاجابه الهلالي بقصيدة قال منها

ولي في فقا عبدالكريم علامةٌ   تخبرني عنه وفي وجهه اخرى

ولما بلغ القلم الى الموشح عصا في كتابته بالرغم مما سردناه من البراهين وبهذا القدر كفاية .

٢٧ ﴿ الشيخ عبدالله سلطان ﴾

ولد بحلب سنة ١٢٦٤ وتوفي بها سنة ١٣٢٩

١٨٤٧ مسيحية ١٩١٠

احد علماء حلب وادبائها ، ومدرسي احدى مدارسها والبائها ، قرض الشعر فاحسن في اكثر منظومه ، ورد اعجازه على صدوره وقرن بين بليغه ومفهومه ، ولم يكن مكثراً وان كان سريع الخاطر ، وكانت بيننا وبينه مودّة لها منا الذكر العاطر ، وكانت صلة الادب تجمعنا به كثيراً في ايام الشباب ، ومرّت لنا معه مجامع انس هي من حسنات الدهر ، ومواسم العمر ، ومنها اننا كنا وعصبة من اهل الادب والظرف قضينا يوماً رمدت عنه اعين الزمان ، في احدى جنائن باب الجنان ، حتى اذا قاربت الشمس الغروب ، والماء يترقرق في النهر كالتبر المذوب ، ومغنّينا يسحر الالباب بانشاده ويسكر القلوب ، هاجتنا جيوش من البعوض الرميض ، ولهُ في

تلك البقعة سلطان عريض ، واذ نهضنا لننتقي مكاناً آخر قال الشيخ على البديهة :

وعسكر البقّ مذ جاءت تحاربنا عند اللقا هزّمت جنداً من البشرِ

ثم التفت اليّ وقال أجزهُ ، فقلت وكيف اجيزه والواو في اوله عاطفة بلا معطوف ، فان اذنتم جعلتُ بيتكم ردفاً ولكم فضل المتقدم

قال ذاك اليكم فقلت :

تحت الغصون وبين الماء والوترِ كم جيش هم كسرنا كسر مقتدرِ

وعسكر البق مذ جاءت تحاربنا الخ

فاستُحسن كل الاستحسان

وكان رحمه الله مدحنا بقصيدة منذ عهد بعيد واجبناه عليها بقصيدة ايضاً ولم نعثر عليهما بين جموع اوراقنا ، ولكن بقي في محفوظنا مطلعهما فمطلع قصيدته كان :

طلعت لديك بطالعٍ ميمونِ عذراء ذات محاسن وفنونِ

ومطلع جوابها :

أعلمتِ ان البدرَ لا يحكيكِ والدرّ من بعض الذي فيكِ

كان طويل القامة ، حنطي اللون ، حالك الشعر ، اسود العينين ، مخروط الوجه ، مليح الانف ، عصبي المزاج ، فصيح اللسان ، جيّد البيان ، مقبول النادرة ، طيب الحديث ، رحب البال ، محمود المغيب ، شديد الاوصال انتخب عضواً لمحكمة الحقوق في حلب فكان فيها مثال الاستقامة ، وهو من بيت علم مشهور ، وكان ابوه تقلد منصب الافتاء في حلب

قال مضمّناً :

زار الحبيب الذي قد كنت اعشقه   على السماع خيالا واحيانا
وقدسرى العشق من سمعي الى بصري   والاذن تعشق قبل العين احيانا

وله الموشح الاتي :

يا غزال الحي من واد الحمى   صاد بالالحاظ أُسْدَ الحَرَسِ
وجلا من وجهه البدر كما   شقّ صبح الجيدِ ليلَ الغَلَسِ

دور

رقم الحسن على غصن الدلال   بيد التصوير في الوجه الجميل
آية النمل على خد الجمال   يا لعمري جلّ هذا عن مثيل
والعيون النجل بالسحر الحلال   قصّرت للعمر بالهدب الطويل
وندي الورد بالخد نما   حول سوسان بابهى ملبسِ
وبهِ صارم لحظ حرّما   نظرة الوجه على المقتبسِ

دور

يا نبي الحسن منك المعجزات   قد ازاحت ظلمة الشك المريب
فصباح الوجه فيه البينات   اطلع الشمس على غصن رطيب
وسماء الخد اندى البركات   وبهِ الخال يرى قطباً عجيب
وسناء الثغر نجم رجما   مارد العذل بشهب القبسِ
ونذير الطرف داعٍ حكما   ان دين الحب قتل الانفسِ

ومنه   دور

يا نديم الانس ان الشرب طاب   زمزم الكاس فذا وقت الربيع
فعقيق الثغر بالكاسات ذاب   وجرى الطل على الروض اليفيع
فاجلها صرفاً فما احلى الشراب   بين ورد صنع مولانا البديع

فادار الكأس لما زمزما طيّب الراح بطيب النفس
وفم الابريق لما ابتسما بكت السحب بروض النرجس

وكتب الينا

كلامك التبر قسطنطين منسبكٌ كالعقد في جيد هذا الدهر منظومُ
وغيرهُ خزَفٌ والغشّ داخلُهُ ولو يموّههُ الحسّادُ مشئومُ

٢٨ الشيخ محمد ابو الوفاء الرفاعي الحلبي

ولد بحلب سنة ١١٧٩ هجرية وتوفي بها سنة ١٢٦٤

١٧٦٥ مسيحية ١٨٤٧

الشهير بالشيخ وفا ابن الشيخ محمد ابن السيد عمر الشهير بالرفاعي علَمُ اعلام مِصره ، واسبق شعراء عصره ، نظام القلائد والنفائس وموشّي الفرائد والعرائس ، ربّ القريحة الفيّاضة ، وفارس البديهة المرتاضة ، كأنما شعرهُ كله من السهل الممتنع ، بلغ الغاية من حسن المطلع والمقطع .

كان عالماً بعلوم التوحيد والتفسير والفقه والنحو والصرف والمعاني ، قرأ على ائمة وقته وهم ابوه الشيخ محمد الرفاعي والشيخ اسماعيل المواهبي وكان مدرّساً في الجامع الاموي بحلب وقد اجازه بالعلوم المذكورة والاجازة محفوظة الى اليوم في بيته . والشيخ قاسم بن علي بذير ابن محمد المغربي الاندلسي الغرناطي ، والشيخ الامام محمد الكزبري الدمشقي وغيرهم من علماء وقته .

وكان ربعةً ممتلىء الجسم ، ابيض اللون صبيح الوجه اسود العينين مليح الانف والفم على غاية من الجمال ، وورث حسن الصوت عن ابيه وجده ،

وكان يُلقَّب بالزينة كجدّه لما اجتمع لهُ في صوته من الحسن والجهارة ، وكان كلما رتّل في الجامع او في زاويته ، يجتمع الناس من كل حَدَب ، وتصعد النساء الى السطوح لشغفهم باستماع صوته ، وكان يقيم الاذكار الشاذلية مع ابيه في الزاوية المعروفة بمسجد خير الله في محلة الاكراد بحلب وهي المشهورة بالزاوية الرفاعية ، وهي زاويتهم الاصلية ، ولهُ غيرها اربع تكايا ، ولما ادرك العجز والده ، انتقلت اليه مشيخة الطريقة .

ووقعت منازعة بينه وبين بعض مشائخ حلب على احدى التكايا التي كانت تحت توليته ، فقصد القسطنطينية ولقي من حفاوة وزرائها وكبرائها به ما يقصر عنه الوصف ومدحوه ومدحهم بالمنثور والمنظوم ولاسيما شيخ الاسلام عارف حكمت وهو القائل عن نفسه

ألم تعلم بان سماء فكري تلوح بافقها شمس المعارفْ
تفرّس والدي فيّ المزايا فحين ولدت لقّبني بعارفْ

ثم عاد المترجَم الى حلب وقد زوّدوه ببراءة سلطانية تمنع كل حاكم فيها من استماع ايّ دعوى عليه في التكية المذكورة .

وتولى حلب الوزير رضا باشا نحو سنة ١٢٤٠ هجرية فكانت بينه وبين الشيخ صحبة طويلة ومودة جزيلة وتتلمذ لهُ واخذ الطريقة عنهُ وحبس اوقافا كثيرة على احدى تكايا الشيخ المعروفة بالتكية الترابية نسبةً الى الشيخ الكبير المشهور بابي تراب شيخ واستاذ المترجَم ، ثم عُيِّن رضا باشا المذكور بعد ذلك والياً على بغداد فكتب اليهِ ان يوافيه اليها ، فقصدها سنة ١٢٥٣ وبلغها بعد سفر طويل مُجهد كما يُستدلّ من قوله عند اطلاعه عليها

هذهِ بغداد ام ذا حُلم خبروني ان حالي عَدَمُ

هل وصلنا للحمى وانكشفت ... ببلوغ القصد عنا غمم
شمت برقاً لاح لي من بعدٍ ... ففؤادي حره يضطرم

وهي قصيدة طويلة .

ومدح مقدمه الى بغداد السيد عبدالحميد العمري الشاعر بقصيدة نروي منها ما يأتي كما وصل الينا وهو لا يخلو من اغلاط نظنها من النساخ ، وفيها مدح صوته المشهور قال :

قد در ثدي الكمال من حلبِ ... فانجزت بالوفا وبالادبِ
منت على الزوراء في رجلٍ (كذا) ... قدومه فرصة لمرتقبِ
وفيه دار السلام قد سلمت ... بشرى لها من طوارق النوبِ

ومنها

روى حديث العلى واسنده ... عن والدٍ منجب وخير ابِ
قرت (كذا) له بالعلوم قاطبة ... عجم اللغى وجهابذ العربِ
قس اياد اعيت فصاحته ... اذ اسمع الصم ابلغ الخطبِ
يكاد صلب الصفا لخطبته ... يلين من حسن صوته الرطبِ

وفي البيت الثالث اشارة الى حادثة وقفنا على حكايتها فيما طالعناه من الاوراق المتعلقة بالمترجم ، وجملتها ان احد المشعوذين في بغداد كان تكهن بحدوث زلزال عظيم يقع في بغداد يومئذ وكان دخول الشيخ اليها في اليوم الذي عينه المشعوذ ، واذ لم يحدث شيء . فقد شمل الفرح سكان بغداد جميعهم ، وعدوا قدوم المترجم بركة او نعمة ، دفعت تلك النقمة . .

وقد ترجم المترجم عليه احد شعراء عصره الشيخ عبدالله الشهير بالمطآني في رسالة جمع بها تراجم شعراء وقته الحلبين وقد اقترح عليهم تضمين الآية

« أليس لي ملك مصـرا » وذلك سنـة ١٢٠٤ هجرية ولم نقف من هذه الرسالة الا على هذه الترجمة قال ومنهم

السيد محمد ابو الوفاء الرفاعي غبوقي وصبوحي ' لا بل خليلي وشقيق روحي ' من نظمني واياه سلك الرواية وانممني بروياه (كذا) كال الصحبة والرعاية ' متّع الله به والده الاغر يحيى ذكر جده عمر ' فينوفه بحسن التلاوة والادا ' ويروقه بالزينة على طول المدى ' ولا برح قرة عين لجده ابي العلمين ' موٴيداً بفتوحات محمدية وامدادات احمدية ' ومواهب شاذلية ومشارب قادرية ' اذ هوْ شاب نشأ في خدمة العلم والطريق ' وشرب من الكأسين اهنى رحيق ' فقهُهُ منوه باعتقاد ' وعلمه منزّه عن انتقاد ' وسلوكه لايشوبه رياء ولا خطل ' ولا يعيبه ازدراء ولا ملل ' فهمه كالسيف حدّه وكالنار شدّه ' وكالماء في الصفاء ' وكالسيل في توارد الانواء ' مع بديهة اطوع له من ظله ' واسرع اليه من ادارة قوله ' ومن نظر في ابياته بعين وامقة سير مقالتي ان صادقة او غير صادقة ' وهذه هي :

لك المحاسن طراً	وانت عنه المورّى
وانت في كل شيء	ظهرت سرّاً وجهرا
قد لذّ لي فيك سلبي	ولو تهتكتُ سترا
وكلّ ما اخترت عندي	عذبٌ ولو كان مرّا
ما شئت فافعل بصبّ	بحاله انت ادرى
الملك ملكُكَ حقـاً	ومـدعيـه تجرّا
حيث استخف ونادى	اليس لي ملك مصر

انتهى ما قالهُ العطاني .

وقال يمدح الوزير علي رضا باشا المتقدم الذكر :

اثار الحوالك لما بدا ... هلالٌ لهُ الروح مني فدا
يطوف علينا بكأس الصفا ... فيحلو لنا وردُها موردا
يروحُ بها قمراً ناضراً ... ويغدو بها غُصُناً املدا
فنصبح منها نشاوى بها ... نميل لها ركعاً سُجَّدا
هي الخمر ما ملّها شاربٌ ... ولا صاح منها ولا عربدا
بل اعتادها القوم اهل الوفا ... فنالوا الوصول لنهج الهدى
وقد ظفروا بالاماني بها ... وقد احرزوا مجدها الاتلدا
الا فاسقنيها وعلل بها ... فؤادي من الهم واجلُ الصدا
مع الامجد الشهم سامي الذُرى ... عميد المعالي علي كتخُدا
اميرٌ لهُ رتبة شاؤها ... يزاحم في السؤدد الفرقدا
حميد الصفاة وكافي الكفاة ... وحامي الحماةِ وبحر الندا
وطودٌ أشمُّ وبحر خضمٌ ... وبدر اتمُّ اذا ما بدا
حليف المكارم الف التقى ... لهُ حَبرَات المعالى ردا
تسنم اعلى سنام السُهى ... واعطى الجزيل واسدى الجدا

ومنها :

وسارع للخير واعتادهُ ... وطرق المكارم قد مهّدا
وجدد ما قد وهى من بنا ... تكية قطب كمال الهدى

وبيت التاريخ

وقد جاء تاريخها صادق ... بحسن الخلوص بنا مسجدا

ولهُ من ارجوزة في الاولياء المدفونين في حلب .

وانزل مغرّبا لقبر المصري الشافعي احمد فرد العصر
ضريحهُ في تربةٍ ممتازه ملحقة بتربـة المزّازهْ
غربيّه ضريح جدي عمرا بزينة الدنيا غـدا مشتهرا
في عصرهِ وكان شيخ القُرا بالاتفاق وجـال الاقرا
منفرداً بصوتهِ الداُودي اذا تلا القرآن بالتجويدِ
اذا رقى المنبر يُصغي السمعُ او قام في المحراب فاض الدمعُ
قرا على المصري البصير عمرا وكان في القرآن قد تمهّرا

ولهُ في باب الغزل او التصوف شعر كثير روى لنا منه غيباً احد احفاده صديقنا الاديب الشيخ رضا الرفاعي حصة حسنة ، الا انه ضنّ علينا بساعة طلبناها منه لاكمال هذه الترجمة ، ثم اعترضت حوادث ضاقت عن الجمع بيننا وبينهُ ، ثم سألنا عنه فعلمنا انهُ ترك الوطن واستقر في عينتاب فبعثنا اليه بكتاب منذ عهد طويل ولم ناخذ منه جواباً الى هذه الساعة .

ومما نحفظ من غزله ، قطعة من موشح رويناها في كتابنا منهل الورّاد قال

يا مهاة البان يا ذات الدلال جل ّمن ابدع ذا الوجه الجميل
غلب الوجد وليل الهجر طال وانا المغرم بالفرع الطويـل
قدّك الميّاس لولا الازر سال فاكشفي عن وجنة الخد الاسيل
لارى نقشاً عليه رسما ناعم الوشي طرى الملمسِ

ولهُ

رفع الحجب عن بدور الكمال مرحباً مرحبا باهل الجمال
سادتي سادتي بحقي علـيكم انني عندكم عزيز وغـال

لم يعد لي حبيب قلب سواكم　　زال رسمي وحالَ حال خيال

ومنها

ملكوني بلطفهم ورضوا بي　　عبد رقٍّ فسدت بين الرجال

ومنها

واذا ما الصدود داني وجودي　　رحموني وانعموا بالوصال

واوصى ان يكتب علي ضريحه قبل موته

بمين المناية والاصطفا　　حباني المهي وعني عفا
وشاهدت من فيض احسانهِ　　نعيماً كبيراً وكأساً صفا
وقال عُبيدي وفا ارخوا　　بحسن ختام الورود وفا

سنة ١٢٦٤

واوصى ان يكتب على جانبي الضريح

اذا ما توفى الله نفس وليّهِ　　تهون عليه سكرة الموت بالحق
وما هي الا دعوة واجابة　　ويخلص من رق الكثافة بالعتق

اما مؤلفاته فهي كثيرة فمنها الارجوزة المتقدم ذكرها في اسماء الاولياء المدفونين في حلب وهي نحو خمس مائة بيت ' ورسالة خطب نكاح ' ورسالة في صيغ الصلوات على النبي ' وديوان خطب خطبها في الجامع الاموي بحلب ورسائل عديدة مبعثرة في علوم شتى وديوان شعر كبير وغير ذلك من الاخوانيات ورسائل الاكابر

٣٠٩ السيد مصطفى ابن السيد يوسف الشهير بالصائغ الحلبي

لم نقف على سنة مولده ولا سنة وفاته ولكنهُ من اهل هذا القرن كما يستدلُّ من مدحهِ الشيخ وفا المتقدم الذكر ولم نقف لهُ على غير هذه القصيدة .

قال يرثي الشيخ علي ابي تراب استاذ الشيخ وفا ويمدح الشيخ وفا . ننشر هذه القصيدة كما وصلتنا ونظن فيها شيء من اغلاط الناسخ ايضاً .

كيف اسلو من به عقلي سبي ... مالك القلب بحسن الادبِ
كامل الاوصاف ذاتاً سيّدٌ ... هو شيخي مرشدي في مذهبي
زاهد عما سواه قلبُهُ ... كان للزهد كامّ وابِ
موقن بالله عند موتهِ ... مستجير بالتهامي العربي
اسمه الشيخ الترابي نسبة ... لعليّ كان قصد المطلب
اذن باسرار الكمال لابنهِ ... ابي الوفا ابن الرفاعي الانجب(كذا)
ذو فخار وكمال وتقى ... طاهر الجدين ذاكي النسب
منبع الاسرار عين الفضلا ... طيّب الاعراق عالي المنصب
ساد في ارشادهِ بين الورى ... بطريق الحق حق الواجب(كذا)
في طريق اشرقت انواره ... خلوتي اخلاصي نوري ذهبي(كذا)
وكذا نقشي وبخشي شاذلي ... ورفاعي قادري المشربِ
وسطوحي عيدروسي بدوي ... ودسوقي ادهميّ الموكب
ربّ فامنحني بسرّ منهمُ ... وعلى الاخلاص فاحسن ادبي

٣٠ محمد آغا الميري الشاعر

هو من معاصري الشيخ وفا الرفاعي السابق الذكر لم نعثر على ترجمة له ولا على شيء آخر من نظمه ولعل بذكر اسمه في هذه الرسالة تنبيه لمن يعلم عنه شيئاً من محبي الفضل لاثباته في اخرها . قال يمدح الشيخ وفا :

يا من غدا شيخ الادب	يشهد ذا من في حلب
اهدى لنا من نظمهِ	عقداً بديعاً منتخب
قد صاغه الشهم الذي	جمع الفضائل والنسب (كذا)
ذاك الوفا خدن العُلا	من الرفاعيّ انتسب
انعم بهِ من فاضل	حاز المحامد والحسب
حبرٌ لقد ملأ الدلا	ادباً الى عقد الكرب
واذا علا خيل القريـ	ـض حوى السباق بلا نصب
يا فاضلاً فاقت فصا	حتهُ مصاقيع العرب
فهاكها (كذا) ميرية	زفت لافضل من خطب
لا تبتغي مهراً لديـ	ـك سوى القبول المطلب
واسلم ودم طول المدى	تبدي البدائع في الادب

هذا ما وقفنا عليه لهذا الشاعر .

٢١ جرجي بن ميخائيل العبديني الحلبي

ولد سنة ١٨٦٧ وتوفي بحلب سنة ١٩٠٣

قرض الشعر وحام حول بحوره ، وطاف بكؤوسه وشمّ شيئاً من خموره .

كان ربعة الى القصر ، نحيف الجسم ، ابيض اللون ، متناسب اعضاء الوجه ، في عينه حول .

تلقى علومه في مدرسة الاباء رهبان مار فرنسيس بحلب وكان عارفاً بالفرنسوية والتركية ، دمث الاخلاق لطيفاً ذكياً ، قال من قصيدة

أسلوتَ ام ثارت بك الاشواقُ	يا قلب سل ما هكذا العشاقُ
يا قلب مالك ساكن متبلبلٌ	طوراً تجدُّ وتارة تشتاقُ
ما عدت اعهد في الهوى لك حالةً	مذ خافتك اسيرها الاحداقُ
فاذا عجزت ولم تعد تقوى على	حمل الهوى سل اهلهُ ما لاقوا
حملوا على اعناقهم اثقالَهُ	حتى التوت من حملهِ الاعناقُ
وردوا الردى رغم المدى وتحطفوا (كذا)	بالصبر حتى كاد ليس (كذا) نطاقُ
رغموا انفوا العاذلين وما انثنوا	عن خمرة من سكرها ما فاقوا
هانت نفوسهم فما ضنوا بها	وسموا فصادف جدّهم اخفاقُ

وقال

كيف التداني والمزار بعيد	ولم التذلل والقلوب حديدُ
والما التعلل بالاماني والمُنى	ألذيذ وصل الغانيات يعودُ
وتعود افراح نوت بنواهمُ	من حيّنا ويعودُ ذاك العيدُ

اشتيت شمل الصحب بجمع شمله　　بحبيبه والله ذلك شديدُ
ويروق صفو العيش بعد اساءة　　ويعود عهد السلم وهو فقيدُ

وقال في مطلع قصيدة

خذها ارقّ شذا من الصهباء　　والذّ ورداً من زلال الماء

ولا يخلو هذا الشعر من اغلاط لغوية وضعف في التركيب كقوله ما عدتُ اعهد في الهوى لك حالةً الخ يريد ما عدتُ اعرفُ . لان ليس هنا موضع العهد وان كانت فيه المعرفة كما يظهر بادنى تأمل ، وجملة البيت تركيب عامي ، اما قوله وردوا الردى رغم العدى وتخطفوا الخ فما موضع التخطف هنا ؟ وهذا الفعل لا يتعدى بالباء ، ولسنا ندري ماذا اراد بالنطاق ، ثم ان كاد لا تقترن بليس في حال من الاحوال كما هو معلوم وبهذا القدر كفاية .

٣٢ حبيب العبديني الحلبي

ولد بحلب سنة ١٨٤٠ وتوفي بها سنة ١٩١١

هو حبيب بن جرجي العبديني عم المترجم السابق من اسرة قدمت حلب منذ قرنين ونيف .

كان ربعة الى القصر ، حنطي اللون ، مخروط الوجه قليلاً ، عصبي المزاج نحيفاً وارد الاونبة ، ساكن الريح ، طيّب العشرة ، صادق الود .

صاحب الشاعر المشهور فرنسيس المراش دهراً ، وكان كثير الملازمة له بعدما كفّ بصره ، يكتب له دون عوض .

وكان يعرف بالالحان . ويضرب على الاوتار ، ويحسن الصفير بالنــأي ، قرض الشعر قليلاً ، وكان يهذب له ما ينظم بعض اصدقائهِ من ادباء وقته ، وكانت له فتوحات في التواريخ قال مؤرخاً مولده :

انا في شهرِ اذارِ	ولدت اياذوي العليا
علمتم ايّ تأريخ	دخلتُ هذهِ الدنيا

سنة ١٨٤٠

وقال مقرظاً مرآة الحسناء :

(كذا)

اني لاعلم صاحب الديوان ذا الـ	ـمراش لم يهوى الى الاطراء
من رام يدرك قدره ينظر الى	ما قال في مرآتــه الحسناء
فهناك يحكم بعدما يلقاه في	تأريخهِ ذا اشعر الشعراء

سنة ١٨٧٤

وقال

مدحتك للتهاني لا لرفدٍ ورحت مؤرخاً ذكراً لذكري

سنة ١٨٨١

وقال لينقش فوق عين ماء اجراه الى بلد الاسكندرونة احمد مختار باشا والي حلب يومئذ وهو من ابدع التواريخ :

اشرب هنيئاً داعياً لمليكنا عبدالعزيز بطول جانبه العريض
ولاحمد المختار والينا الذي جعل المياه لكل تأريخ تفيض

سنة ١٢٩٠ هجرية



٣٣ الشيخ احمد المكانسي الملقب بالمحجوب

ولد بحلب نحو سنة ١٢٥٠ وتوفي بها ١٣٠٧

مسيحية ١٨٣٤ ١٨٨٩

لُقّب بالمحجوب لفقده بصره صغيراً بعلة الجدري المشهورة :

كان حافظاً اديباً كامل الظرف ، يميل الى المزاح والالحان والعزف ، خفيف المعاشرة ، لطيف النكتة والنادرة ، عارفاً باصوات الغناء ، يهتز لها اهتزاز الغصن في الهواء ، يتسامح مع اصحابه في مجالس الانس والطرب ، حتى ليشغلهم بفكاهته عن الراح والضرب ، وكان يتردد الينا تردد نسيم الربيع ، ولنا معهُ مجالس في عصبة يتنحى لها الاصمعي والبديع ، وكان يلقّب بيننا بأبي العلاء ، لضرارته وتساعه وما هو عليه من الذكاء .

وكان متوسط القامة ، عصبي المزاج ممروقاً ، مخروط الوجه مشوّهاً بالجدري كل التشويه ، حنطي اللون ، كبير الانف ، غليظ الالواح ، يميل برأسهِ عند المخاطبة يمنةً ويسرى ، كثير البشاشة ،

ولم نقف الا على القليل من شعره ولم يكن مكثراً ، قال :

حمى الله من تلك المحاسن اربعاً	باربعة يبقين ما بقي الدهرُ
قوامك والقنا وشعرك والدجا	والفظك والصهبا ولحظك والسحرُ

وقال مقرّظاً مرآة الحسناء :

أبدر تمّ بدا من بعد اخفآء	ام غصن بان زها في ثوب هيفآء
ام التآليف تروي عن موءلفها	بانه في الورى كالنقط للبآء
ذاك ابن مراش ذو الاداب من شهدت	لهُ تصانيفهُ في حسن انشاء
ديوانه لاولي الاداب دونه	فلا تكن يا اديباً عنهُ بالنآء

سحراً حلالاً غدا يجلو لسامعه بشرى لقارنه والحظ للرأي

فتنزه الطرف في روضاته عجباً تغنيك ابكاره عن كل عذراء

ابياته الراح تشتاق النفوس لها تغني المعاني بها عن كأس صهباء

ونورها مذ بدا طبعاً مورخها يهدي به فزهت مرآة حسناء

سنة ١٢٨٨ هجرية

ولهُ مزدوجة طارت شهرتها في حينها ، حتى لم يبق متأدب او قارئ في هذه الاقطار ، الا رواها او كتبها ، ولم يبق اديب في حلب لم يزد عليها دوراً او بيعاً ، وكلها انتقاد وطعن في رجال حكومة حلب وبعض اعيانها وهذا اولها :

آهاً وواهاً لانقلاب الدهر وكثرة الفجور في ذا العصر

قد اصبحت بلدتنا في اسر من معشر تضلعوا بالكفر

فلعنة الله عليهم تجري

قد اظلمت ديارنا بالوالي ذاك الشقي السيء الافعال

منتجع الوبال والنكال مذمم الافعال والاقوال

منجس في البر ثم البحر

ومنها في مجلس التجارة

وابعد بنا عن مجلس التجار وعصبة الاشرار والفجار

فصيحهم ينهق كالحمار رئيسهم يصلح للمدار

ياليت يدري انه لا يدري

ومنها في الشرطة وكان اسم رئيسها اشرف بك

وان تجد يوماً عجوزاً ضارطه فاخبر بها البوليس ثم الضابطه

فأشرف يأتي لها كالماشطه موملاً منها ببذل الواسطه

وقائلاً من بعدها لا تخ . . . وبهذا القدر كفاية

٣٤ جرجي الكندرجي الحلبي

ولد بحلب سنة ١٨٧١ وتوفي في مدينة اركاشون بفرنسا سنة ١٩١٨

شاعر كأنهُ روح ، تعبق اللطافة من انفاسه وتفوح ، هام بالشجر والهوآء ، وعشق محاسن القبة الزرقآء ، وشغف بالرياض والبساتين ، وافتتن بالزهر ولاسيما بالياسمين ، تشجيه الالحان ، فيميل كانه ثمل ببنت الحان ، ويطرب لنغمات الاطيار ، طَرِبَهُ لنقر الاوتار . وكان مغرماً بكل مظهر من مظاهر الكون ، يرى فيها من ايات الجمال الف شكل ولون ، فالغيوم والامطار والرعود والبروق ، والثلج والبَرَد والغروب والشروق ، والانهار والبحار والسهول والجبال ، والعواصف والنَسَم الى غير ذلك من المشهودات والاحوال ، كان لكلّ منها اثر في نفسه ، لا يذوق معناه الاّ من كان حِسّهُ كحِسّه

وكان معتدل القامة ، ضعيف الجسم ، نحيف البنيـة ، عصبي المزاج ، اسود العينين والشعر ، متناسب الاعضا ، مخروط الوجه قليلاً ، حاد الذهن ، ذكيّ الفؤاد ، شديد الشعور ، يجذب محدّثه برقته وحسن بيانه ، حلو المشرة ، صادق الطوية ، ينظم الشعر بغير تكلف ، ويغلب السناد في بعض قوافيه ، وقد نظم كثيراً الاّ انه لم يجمع من شعره غير نُخبة سماها الزهيرات ، طبع حضرة اخيه الفاضل صديقنا الطبيب الجراح النطاسي السيد ليون الكندرجي مئة نسخة منها فقط اهداها الى اهلهِ واصحابه بوصية منهُ.

تلقى دروسه في مدرسة الابآء رهبان مار فرنسيس بحلب ثم قصد القسطنطينية ودخل المكتب السلطاني فيها وظل فيه ثلاث سنوات يتلقى العلوم واللغات فخرج منه اديباً كاملاً ، عارفاً بالتركية والفرنسوية والطليانية يتكلم

ويكتب فيهن جميعاً بغاية السهولة ، ثم عاد الى حلب واتخذ وظيفة في المصرف العثماني ثم استعفى منها بعد سنتين وقصد بعد ذلك بمدة باريس فوجد وظيفة في محل اوروزدي بك التجاري المشهور ، ثم ما لبث ان عيّنه مدير هـذا المحل رئيساً في قلم المحاسبة ومفوَّضاً بالامضاء ، لما رأى من امانته وذكائه ونشاطه ،

ثم توفيت شقيقتهُ سنة ١٩٠٤ وتوفيت بعدها بقليل قرينته وكان يحبها كثيراً فجزع عليها جزعاً عظيماً صاحبه في سائر المدة التي عاشها بعدهما .

وكان شديد الحنين الى وطنه ، قلَّ من شابههُ في ذلك ، لا يفتأ يذكر حلباً وضواحيها ، ومعارفه ومن صاحب فيها .

وكان بينه وبين صهرنا السيد البير حمصي صداقة منذ المدرسة فلما زار باريس مع زوجه ابنتنا عليّة في اوائل سنة ١٩١٢ حيّاها بقصيدة قال في مطلعها

اهلاً وسهلاً بمن تاقت جوانحنا   الى لقاهم فكاد الشوق يضنينا
هل يا تُرى قد حلمنا ام تراءينهم   الحاظنـا ونحيّيهم بايدينـا

ومنها

اهلّة عن سما الشهباء ما غربت   الا لتشرق في باريسنا حينا
كانوا الاهلّة قبلاً عند فرقتنا   واليوم شمنا بدوراً في تلاقينا

ومنها

نحنّ شوقاً لاوطان يشتّتنـا   عنها الزمان ولكن ليس يلهينا

ومنها في مخاطبة اهل وطنه

احبابنا قد جعلنا من سرائرنا   في البعد عنكم لذكراكم بساتينا
ازهارها من نبات الشوق رائعةٌ   نجني الشقائق منهـا والرياحينا

ان تذكرونا فما الابعاد فاصلة　　كم قرّب الذكر ارواح المحبينا

وقد احسن في هذا البيت غاية الاحسان .

فبعثت ابنتنا الينا بهذه القصيدة وطلبت ان نجيبهُ عليها فاجبناهُ بما يأتي :

يا جنّةَ الارض ِ يا اقصى امانينا　　لا شيء عن حبّ ذاك الحسن يلهينا

باريسُ يا زهرة الدنيا وبهجتها　　جمعت ِ من كانَ عن ذكراك ِ يغنينا

ومنها

تلك المنازلُ لا ننفكّ نذكرها　　ايامُنا ضاحكت فيها لياليَنا

اذ الشباب رَعاهُ الله مُقتَبَلٌ　　واذ دعانا الى اللذات داعينا

حيِّيتِ ياخندق السنار(1) من فلك ٍ　　كم فيك ماهىَ عليهِ البعد يبكينا

ومنها

ويا ملاعب حور اللطف قد هبطت　　من سدّة الحسن تجري سحرها فينا

ويا حديقة لوكسمبورَ لا برحت　　تلك الدُمى ببديع الحسن تحظينا

روحي فدى ظبيات فيك ِ ما عرفت　　نفورَ وحش ٍ بانس اللحظ تسبينا

ويا مواضع صفو ٍ كلها عجبٌ　　ويا مجامع فضل ٍ للمريدينا

ومنها

باريسُ يا زينةَ الدنيا ومفخرها　　ومنبع العلم يحكي جريَةَ السينا (2)

ويا نعيماً لاهل الارض قاطبة　　وموطنَ الانس انصافاً وتأمينا

كم شادَ اهلُك ِ قصراً للمعارف قد　　غذَوا بها الجهل زقّوماً وغسلينا

ومنها

فيمَ المقامُ بارض نُستهان بها　　والغرمُ يلزمنا والغنم يُظمينا

(1) Boulevard Montmartre　(2) نهر السين فيها

فيمَ التشوقُ للاوطان نندُبهـا ... ومَن بها ليس يرضى ان يُصافينا
يا ضيعةَ العمرِ والاتعاب في وطنٍ ... ما أنْ كسبنا بهِ دنيا ولا دينا
يا نازلين بدار السعد انَّ لكم ... فيهـا مواطن ليست للمقيمينا
ان كان اخلاصُكم يُدني البعيدينا ... فان اخلاصَنا ما زال يُقصينـا
ان تنزحوا عن بلاد الشرق انَّ لكم ... في الغرب قدراً وعزّاً للمحبينا
لا تحسبوا غربة الاحرار منقصةً ... ما دمتُم بديار الفضل ثاوينـا
انتم مقيمون في اعلا المنازل من ... قلوبنـا في لقـانا او تدانينـا
ان كان ذا البعد يضنيكم ويضنينا ... فالذكر يُنعشنـا والحب يدنينا

ثم اتاح لنا القدر السفر الى باريس سنة ١٩١٣ فاجتمعنا به وشهدنا من حفاوتهِ بنا وفرط رقّتهِ ، وحسن وفائهِ وطيب عشرته ، وكرم خلالهِ ،وصدق اقوالهِ وافعالهِ ، ما نديم لهُ اعطر ذكر ، وننشره اطيب نشر ، وكان رحمهُ الله عندما نهضنا الى العود للوطن ودّعنا بقصيدة قال في مطلعها .

يا راحلاً في امانِ الله والنعمِ ... هلاً حملت سلاماً فاح كالخزمِ
لقد تزودت من باريس بهجتها ... فخذ مع الزاد ودّاً غير منثلمِ
ما كلُّ ضيفٍ كمَن قامت تودّعهُ ... يهدي لها الدرَّ منظوماً من الكلمِ
ما كلّ يوم لديها عالمٌ صدعت ... منهُ النهى مغلقاتِ العرب والعجمِ
عُد ايها الضيف فالشهباء سائلة ... حصيّها الرسل من طيرٍ ومن نسمِ
وقل هناك لاهل الفضل ان يحثوا ... عن حالتي انني باقٍ على شيمي
اصبو اليهم بوجد دائماً ابداً ... وذكرهم في حديثي لذة لفمي
ما خمرة الروح الا من تذكرهم ... ريح الصبا تجتليها فهي من خادمي

ومنها

ازاهمُ كلَّ يومٍ في مخيلتي ... كما تراءوا لعيني قبل تركهم

ارى « العزيزية » الفيحاءَ تجمعهم ... كالانجم الزهر بل ازهى من النجمِ

وقال في بركة ايمان ، ما تزدري عنده اللؤلؤ والمرجان ،

هنا تشتهي الارواح حقاً خلودها ... وتاهى عن الفردوس بالعالم الفاني

هنا الماء درٌّ والجبال جواهرٌ ... ودائرة الافاق اطواق مرجانِ

هنا الكون سحر والعروس تسربلت ... بافخر اثوابٍ وابدع الوانِ

فللفجرِ خزٌّ والغروب اطالسٌ ... من الازرق الشفاف والاحمر القاني

عقيقٌ يمانيٌّ وفيروز فارسٍ ... وما ذلك التشخيص في وسع امكاني

أُهَيلَ النُهى بالله ان ضلَّ رائدي ... فلا تنشدوهُ في لحاظٍ واجفانِ

غرامي بهذا الحسن شرعي ومذهبي ... وشوقي الى لقياهُ مشكاة ايماني

تغني به اوتار روحي تغزّلاً ... وآياته راحي ونقلي وندماني

اذا لم يكن لي بين قومي مزيّة ... فتمجيد هذا الصنع شأني وعنواني

سلام علي هذي الربوع ورحمة ... ومن بركات الله هطّال رضوانِ

وقال من قصيدة يصف جنة من جنان باريس وقد اجاد غاية الاجادة ، حتى ليس لمستزيدٍ زياده .

ضحك الرمّانُ واللوزُ استحى ... وانحنى الزيتون والسرو استقامْ

وبكى الصفصافُ لامن المٍ ... بل لوجدٍ فهو صبٌّ مستهامْ

وحكى التفّاح في حمرتهٍ ... جمراتِ النار في احمى العرام

لبس المشمش ثوباً مذهباً ... فاعترى الدرّاق همّ واهتمام

واكتسى الخوخ لحزنٍ بردة ... اشبهت زرقتها عرق الرخام

واستراح النخل في قرب الصنو بر والحَور اعتلى نحو الغمام
وانزوى البلُّوطُ يهوى فسحة فهو لا يرضيه ضيق او زحام
واختلى الزعرور منهوك القوى اصفر اللون كمن صلى وصام
وتنحى التين عن جيرانهِ يؤثر الزهد على لهو المدام
وظلال الدلب في الصيف حمت طرقات الحي قيظاً وضرام
ونما السعترُ في ظلِّ القرنـ فل والنعناع حاذاهُ الثمام
وصنوفٌ فاتني تعدادها من شجيرات حقيرات دمام
وأعيشابٍ تشأت والتوت لست ادريها نياماً ام قيام

ومنها يشكو اوجاعه وعلته ويصفها وصفاً يلين لهُ الجلمود لو عقل، ويستنزل سحائب الدموع من المقل .

آه لولا السقم كم اسكرني أرج الزهر بلا شرب مدام
آه لولا علتي كم هاجني بلبل يتلو احاديث الغرام

ومنها

ما افاد الزهر والروض ولا ماءوهُ العذب ولا طيب المقام
ما نفى الويلَ تفادي زوجةٍ صاغها الله ملاكاً في الانام

ومنها

لم اذق من عيشتي غير البلا فعسى في الموت للضيم ختام

وقال قبلها

علةٌ في الحلق اوهت جلدي خلّفت جسمي جلداً وعظام
علة ادمت فوادي كمداً ونفت عن مقلتي طيب المنام
ان مضى يومي على جمر الاسى كرّ ليلي بدواهيهِ الجسام

من كظام دونه بلع الحصى ودغام دونه وقع السهام
انني حيٌّ كمن تحت الثرى ودَّع النور وامسى في ظلام

وقال في ختامها

يا بني الشهباء بالله اذكروا نائياً لم ينسَ عهداً وذمام
ينشد الاوطان في نكبتها وزماناً مرَّ فيها كالمنام
يسأل الله لهـا بعد الشقا نعمةً تُجلى وعزاً لا يُرام

ومنها

يلفظ الروح على ذكراكمُ رحمة الله عليكم والسلام

١٩١٦

وهذا اخر ما كتبه وكان كلفاً بزهر الياسمين

اناجي الياسمين بما اقاسي فيسمعني ويرثي لي الصموتُ
يزور سرير اوجاعي فتسمى الى لقياهُ من طربٍ نعوتُ

ومنها

اقبّله فماً لفمٍ طويلاً فينعشني وفوق فمي يموتُ
ويالله من سكري بعطرٍ وارواحٍ بها روحي اقوتُ

وقد انساب الى جسمهِ اللطيف داءٌ عياءٌ ، لم ينفع فيه طب الاطباء ، صاحبه سنواتٍ اربع ، لم يذق فيها لذة يقظة ولا مضجع ، وقد وصف آلامه في اكثر منظوماته الاخيرة وصفا يستنزف الدمع ، ويخلع الفؤاد والضلع ، الى ان قضى في الثامن من نيسان سنة ١٩٨٨ فبكاه اهله وذووه ، وعارفو فضله ومحبوه ، وفيهم الرياض والرياحين ، ولا سيما الياسمين .

٣٥ عبد الفتاح الطرابيشي

ولد بحلب سنة ١٢٧٧ وتوفي بها سنة ١٣٣١

مسيحية ١٨٦٠ — ١٩١٢

حرفته بيع الطرابيش كان ، محباً للادب ، كثير الولوع بقرآة الشعر جيد الحافظة ذكياً .

كان معروقاً ، يميل الى الطول ، مخروط الوجه ، ضعيف الجسم عصبي المزاج في طرفه حَول ، اسود الشعر ، مليح العبارة .

وكان يقرض الشعر ملحوناً ، ويستعين ببعض الادباء على تهذيب بعضه ووجدنا لهُ شعراً كثيراً غير مهذب فاخترنا له ما يأتي .

قال من خمرية :

يا من يلوم على صهبآء صافيةٍ　　جهلاً ويشرب من دنياهُ اقذارا

اليك عني فاذني عنك في صمم　　خذ الجنان ودعني اسكن النارا

وقال من قصيدة :

ويرتاح قلبي للنسيم اذا سرى　　ورب نسيم من شذا المسك اطيبُ

يذكرني عهداً قديماً قضيتهُ　　لهُ الحسن دينٌ والملاحة مذهبُ

وقال

قد كان ظني عطآء الله ينفعني　　في عيشتي وعن الاغيارِ يكفيني

فبتُّ من عظم نحسي في الانام ارى　　في كل امرٍ عطآء الله يؤذيني

وكتب الينا :

اخا المجدِ قسطنطين ياذا المفاخرِ　　ويا من غدا في الدهرِ ربَّ المآثر

اليك أتيت اليوم ارجو تطفّلاً   اعارة ديوان الاديب ابن عامر
وقد قال لي بعض الافاضل انّهُ   لديكم فقرّوا في لقاهُ نواظري
فلا زلت للقصاد اعذب موردٍ   يُرجّى وللاداب اعظم ناصر



٣٦ احمد الادلبي المشهور باحمد وهبي الكتبي الحلبي

توفي نحو سنة ١٣١٥ مسيحية ١٨٩٧

لم نقف على سنة مولده ' عرفناه يبيع الكتب في دكانه بسوق الطيب بحلب ويتعيش من بيع الكتب ومدح الاكابر ' وكان يتردد الى دكانهِ المذكور جلّة ادباء العصر وظرفائهِ ' قرض الشعر على جهلهِ بعامة العلوم العربية ' وكان يلتمس من الادباء تصحيح اغلاطه ' ولهُ شعر كثير ندر فيه الاحسان ' وواطأ بعضهُ بعضاً على التركيب العامي ومباينة البيان ' يجمع الفاظاً كثيرة ' على معانٍ فقيرة ' مع تكرار مستمر ' يبدت الحلو منه كالمرّ .

قال يقرظ المرآة الحسناء

هـذا كتاب جاءَ في عنوانهِ	بكر المعـاني من بديع بيانهِ
يا صاح متّع ناظريك بطرسهِ	وانظر رعاك الله في اتقانهِ
واشهد لمنشئهِ الاديب بانـهُ	قد لاح بدر العلم في افنانهِ
بستآنهُ قـد راح يرشدنا الى	روح التمدن في هدى تبيانهِ
ان قال شعراً لم نرى منهُ سوى	حسن البلاغة من فصيح لسانهِ
ونظيمهُ قد راح يفعل بالنهى	فعل الشمول بمغرم في حانهِ
لله درّك يا ابن مراش اذا	شيّدت بيت الشعر في اركانهِ
منه القضايا قد اتت بنتائج	اغنت قياس العلم عن برهانهِ
حسان في عصر القديم وانت قد	اغنيت هذا العصر عن حسّانهِ
لو كنت في نجران قدماً لم يكن	قس الفصاحة ساد في اقرانهِ
دوّنت شعراً ما رأينا مثلهُ	نظماً ونثراً من بديع زمانهِ

من حسنهِ ارّخت جاد بطبعه مرآة حسن اعلنت عن شانهِ (كذا)
١٨٧٢

وقال وقد تمرّد النجاس :

يا جيرة البان يا جيران جيرونِ جرتم فمن جوركم هلا تجيروني
غبتم فبان اصطباري يوم بينكمُ متى يكون اللقا يا اعين العينِ
اطلتم البعد عن صب قضى كمداً فعاد من بعدكم في قلب محزونِ

اما عودته من بعد ان قضى فهي احدى معجزاته ،

وقال :

خير المدام بيوم اللهو والطربِ سلافة حدّثت عن سالف الحقبِ
قديمة العهد من عاد معتقة بالدنّ قد ختمت في لؤلؤ رطبِ
وافى بها الاغيد الميمون منعطفاً نحو الرفاق ولون الكأس كالذهبِ
يديرها قرقفاً صرفاً ويمزجها من الرضاب بمعسول من الشنبِ
مذاقها قد حلا بالشرب قد مزجت فمن لماه غدت اشهى من الضربِ
يختال عجباً وتيهاً في معاطفه كغصن بان زهي مائس رطبِ
ليل بطرته صبح بغرته بدر بطلعته بالحسن لم يغبِ (كذا)
سحر بعينيهِ عن هاروت مصدره جاءت غرائبهُ في اعجب العجبِ

وبهذا كفايه .

٣٧ عبد المسيح الانطاكي الحلبي

ولد بحلب سنة ١٨٧٤ وتوفي في مصر سنة ١٩٢٣

هو عبد المسيح بن فتح الله الانطاكي الحلبي كان ابوه فتح الله المذكور اوّل من تعاطى صناعة المحاماة امام المحاكم في حلب وكان جريئاً عارفاً بالقوانين التركية وهو نفسه ولد بحلب

وعبد المسيح ربعة الى القِصر ' دمويٌّ عصبي المزاج ' ابيض اللون ' اشقر الشعر ' مليح الوجه ' متناسب الاعضاء ' ممتلئ الجسم الى السمن ' طيّب السريرة ' ملسانٌ ' خفيف الروح ' ذكيّ الفؤاد ' عذب المفاكهة .

درس مبادئ العربية في حلب ' واقدم على صناعة القلم منذ حداثته ' وهو لا يملك منها غير الاسم ' فانشأ مجلّة سماها الشذور ' وقرض الشعر وهو لا يعلم من موازينه الاّ ما تزنه اذنه ' ولما لم يجد رواجاً لمجلّته في حلب تحت سماء الحكومة التركية لعهد السلطان عبد الحميد ' سار عن وطنه ودخل مدينة الاهرام ' كما دخل صنعاء الحارث بن همام ' خاوي الوفاض ' بادي الانفاض ' فنشر فيها جريدة سمّاها العمران ' وراح يقارع صروف الزمان ' ولم يزل الدهر يلحّ عليه في وَثَباته ' وهو يصارعه بجد اقدامه وثَباته ' حتى لانت لهُ بعد خشونتها الايام ' وحققت آماله وكانت في عداد الاوهام ' فاطاعته صناعة القلم ' وكتب ونظم ' واقبل على المطالعة حتى وقف على تأريخ العرب ومعتقداتهم في الجاهلية ، ووعى تأريخ الاسلام ومذاهبهم وما قالهُ علماؤهم وفقهاؤهم ' ثم حوّل صحيفته العمران الى مجلّة كان يبعث بها الى اقصى بلاد العرب والاسلام في الهند والصين وخليج العجم ، ومال فيها الى رأي الشيعة ، وكان منذ صغره ذا قريحة وزّانة ' يسهل عليه النظم '

فنظم مدحاً كثيراً طمِن بـدـدهِ عليه ، ولكن الحـالة دفعته اليه ، فكان يعتذر عن ذلك بقول الحريري

تعارجت لارغبة في العَرَجْ ولكن لاقرع باب الفَرَجْ

وخير نظمه قصيدة سمّاها العلوية ، اظنها تبلغ عدة الاف من الابيات وهي تأريخ حياة الامام علي رضه وما جرى له مع الخلفآء الراشدين نشرها في مجلة العمران تباعاً ، وعزّزها باقوال الائمة من الشيعة وبعض السنّة .

وساح في الارض كثيراً فطاف بكثير من جهات الهند ودخل عائداً منها الى بغداد على عهد حاكمها ناظم باشا عقيب خلع عبد الحميد ، فاتهمه الحاكم المشار اليه ببث الروح العربية لضامه مع حاكم الكويت ، فامره بالرحيل عن بغداد ، وكان وقف جريدته العمران على مدائح الشيخ مبارك بن الصباح حاكم الكويت المومأ اليه ، ثم طاف اكثر اوروبا ، ومن غريب امره وعجيب ذكائه ، انه قضى في طوافه ذاك بعض الحاجات السياسية لبعض امرآء العرب في جهات عدن من شراء سلاح ومدافع ووسقها الى طالبها وهو امرٌ محظور في اوروبا ولا سيما المدافع . كل ذلك وهو لا يعرف كلمة من اللغات الاعجمية وظل حتى وفاته ينتمي الى خدمة الامير خزعل خان من امرآء شط العرب العرب في المحمرّة وسمّاهُ شاعره .

رأيناه في مصر في سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ثم رأيناه فيها سنة ١٩٢٠ وحمدنا في السَفَرين ملتقاه ، فهو نشيط عمول ، لا يعرف دَعَة ، دمث الطبع ، رضي الاخلاق ، حميد العشرة ، ينصرف الى خدمة صديقه بغير تكلّف ولا منن .

واليك شيئاً من شعره قال من قصيدة :

ولذّة جمع المال لا شيءَ مثلها لدى كل حرٍّ قبل قد عالج الفقرا

وان الذي يجني النضار فانّـهُ جنى معه الاعزاز والجاه والقدرا
وامسى لهُ صدر المجالس والملا لتفخر امّا حلّ من بينها الصدرا

ومن القصيدة العلوية :

وقال للمرتضى ربّ الذكا عمرٌ مقالةً قال قبلا ما يضاهيها
ارادك الحقّ لكنّ الانام ابت تلك الارادة نادى المرتضى إيها
خفّض عليك اباحفص بحقك من هنا ومن ههنا الاقوالَ تلقيها
فانما كان يوم الفصل عنديَ من قاتاً واحوالَهُ ادري خوافيها
فدقّ كفّاً بكفٍ ساهياً عمرٌ بنظرة للثرى قد راح يلقيها
وسار تتبعه اصحابه وعلي عادَ للخلوة المحمود راضيها

وبهذا القدر كفاية .

ومن طرائف النوادر ، التي يحسن تخليدها في بطون الدفاتر ، ما حدثنا به عند تلاقينا في شتاء سنة ٩٢٠ وكنا سألناه عن احد مواطنينا فاجاب ان فلانا (بهدلنا) يريد اخجلنا وحقّرنا واخزانا ، قلنا ولمَ ذلك ، قال لانـهُ منذ حلوله بمصر لم يترك كريماً الا وتندّى كفيّه ، بل لم ينجُ عمدةٌ في ضواحيها من يديه ، ولم يبقَ غنيٌّ الاّ واندى عليه ، ولم يكفهِ كلُّ ذلك حتى استوكف برّي زاعماً انهُ يجمع صدقة لايتام ذوي فاقة ، فنفحته خمس جنيهات اسلامة صدري ، فما كان منه الا ان جعلها رأس مال يتبجّح بهِ بين القوم وراح يقول هل تصدّقون ان عبد المسيح يُقتّنَص (يبلّص) فقد اعتصرت منهُ خمس جنيهات وكيتَ وكيت ، كأن لم تكفه فعلته ، فاراد ان يزيد الطين بلّة بتشهيري وتشهير براعته وكان رحمه الله يحدثنا وهو في اشد حال من الالم والغيظ ، ونحن لم نكن نتمالكُ من فرط الضحك .

٣٨ الخوري جرجس الدلاّلة او الدلاّل

ولد بحلب في السنة ٠٠٠ وتوفي بها السنة ١٨٩٤

هو ركن من اركان العلم ، واية في السذاجة والزهد والحلم ، كان ثقةً اماماً في كثير من علوم اللسان ، كالنحو والصرف والعروض والبيان ، قرأنا عليه علم العروض ، وزي ثنأنا عليه من اقدس الفروض .

تلقى علومه في مدرسة دير الشرفة بلبنان ثم عاد الى حلب وسيم شماساً ودرس في مدرسة طائفتهِ السريانية وغيرها ، وكان يكاتب للشاعر المشهور فرنسيس المراش بعد فقد بصره في جملة من كان يستطيعهم الشاعر المذكور على الكتابة ، وكنا في فتوّتنا حضرنا بعضاً من تلك المجالس ، اذ كنا باغراء المترجَم عليه نقصده الى دار المراش ليسمح لهُ بالانصراف الى مدارستنا في ختام الساعة المتفق عليها بينهما ، ولكن هذه الحيلة لم تهدِ الى المقصود ، اذ كان يتعذر عليه الانصراف في كثير من الايام ، لرغبة المراش في اتمام ما بدأ بهِ من نظم او نثر ، ولم يكن يجسر احد منا على مطالبته بذلك .

وكانت تلك المجالس مجالس فضل وفكاهة ، لما كان يتخللها من الاحاديث المضحكة والنوادر البديهة ، ولا سيما جمعها بين الاضداد في الطبائع ، فقد كان المراش عصبي المزاج الى الغاية القصوى متلهّب الذكآء ، حديد الفهم ، حاد البادرة ، سريع الغضب ، سريع الفيئة ، وكان الشماس واسع الحبل ، بعيد الأناة ، لا يستفزّهُ نَزَق ، فاذا اخطأ المرّاش فنّده لسذاجتهِ بنبرةٍ وتصريح دون تعريض او تورية ، كأن يقول هذا مما منعهُ الحريري في درة الغوّاص ، فيرشق المراش عثنون الحريري برشقة لو اصابتــه حيّاً ، لوجب عليهِ الغسل

سبباً في سبع ، فيقول الشماس والقاعدة كما في جوف الفرا تخالف مــا قلت ، فيبعث المراش الى جوف الشماس ، بما لا يرى عليه جواباً غير الابلاس ، ثم تأخذ الشماس الحدة فيقول ايش معنى هذا الكلام ، وهل شتمك وسبك يصير قاعدة ؟ فتنقلب حدة المراش الى ضحك ، اذ يسمع قهقهة الحاضرين في فرط ضحكهم ، ثم ينفرط عقد المجلس .

ولهُ رحمه الله شعر قليل وجلّه في الزهد ، ولم يصل الينا منه غير مطلعي قصيدتين ،

فالاول

قد اقبل العيدُ يزهو في سنا الطفَلِ زهو المفاخر بالاقوال فالعملِ

والثاني

ارى الدنيا بهاها لا يطول وزخرفها برمّتهِ يزولُ

ولهُ روايات كشف البأساء في قصّة الخرساء ، عرّبها عن الفرنسوية والنفح العاطر في الفتى المهاجر ، واحسان الانسان وغير ذلك من المعرّب .

وكان رَبعةً الى الطوَل ، ممتلئ الجسم ، دمويّ المزاج ، ابيض اللون اسود الشعر والعينين صغيرها ، صغير الانف والرأس ، مرتفع الجبهة ، بطيء الحركة ، شديد القناعة ، يحفظ على رأس لسانهِ كتابي جوف الفرا والجمانة في النحو والصرف .

٣٩ السيد محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي

ولد سنة ١٢٦٦ وتوفي سنة ١٣٢٨

١٨٤٩ — ١٩٠٩

فردٌ من افراد الدهر ، وعَلَم اعلام العرب في العصر ، بل انسان عين النباهة والفضل ، وعنوان المحاسن والظرف والنبل ، جرى في المجد والجاه الى ابعد الغايات ، وانقطع عن شأوهِ كل سبّاق في المجاراة ، ومشى وراء خطواتـه الوزراء والكبراء ، وقبّل يديهِ اعيان العصر والامراء ، وانفرد عن الاشباه والنظراء ، فظلّ في صحابة عبد الحميد باقعة السلاطين من آل عثمان ، زهاء ثلاثين سنة في صعود متوالٍ ورفعة مكان ، ولم ينل احد من الامة العربية لا بل التركية ، ما نالهُ عنده من المنزلة الرفيعة والحظوة السنية ، وكانت حضرته يومئذ في القسطنطينية قبلة ذوي الامال من القصّاد ، ومثابة الغرباء على اختلاف الاجناس من اقصى البلاد ، فكنت ترى ابناء الهند والصين والافغان ، ومراكش ومصر والسودان ، الى غيرهم من اجناس الامم المنتشرة في ابعد جهات اسيا وافريقيا ، بل كثيراً من عظماء الفرنجة يؤمّون تلك الحضرة للتحدث في بلادهم بمشاهدتهم الرجل الذي طبّقت شهرته سائر عروش الممالك .

وكان وافر الحظ ، ساحر اللفظ ، طلق اللسان ، حلو البيان ، ثبت الجنان ، فاذا افاض في كلامه ملك اعنّة القلوب ، واسر النواظر فكأن كل انسان منها مسمع مجذوب ، وكان بعيد غور الحلم ، صادق الفراسة والحكم .

وكان عقلهُ فوق علمه ، وحفظه وذكاؤه كسرعة فهمه ، ونثره ولا سيما في

الاخوانيات وغيرها من رسائله ، خير من شعره ، ونظمه المشهور كلّه في المدائح النبوية وهو مطبوع ولهُ تأليفات كثيرة مطبوعة وجلّها في اثبات نسبه الرفاعي ، وتكذيب من انكره عليه ، ومن مروياتهِ ديوان الروّ اس (وهو مطبوع) وكان يقول انهُ شيخهُ وعنهُ اخذ العلم ، ويقول بعض الناس ان الروّاس اسم وضعه هو لمسمّى لم يوجد ، وان الديوان الذي رواه ونسبه اليه ، هو نظمه ، ولعله اقلّ تكلّفاً من ديوانه ، والمنهج واحد ، فان صحت رواية المفكرين كان نظمه ديوانه بعد نظمه ديوان الروّاس ، او لعلة اخرى مجهولة .

كان تامّ الطول ، مكتنز اللحم ، ممتلئ البدن ، صلب العضل ، غليظ الالواح ، عريض المنكبين ، اسمر اللون الى الخضرة ، مستدير الوجه ممتلئه ، اسود الشعر (اخر العهد بهِ سنة ١٨٩٨) حسن الملامح ، جذاب الجملة .

ولد في خان شيخون قرية من اعمال حلب ، ولعله تأدب في هذه المدينة اذ اقام فيها منذ فتوّته ، وورد بغداد فاقام بها اشهراً ثم رحل الى القسطنطينية ووافاه بها السعد الاتم . ولما هجم الاتحاديون على قصر السلطان عبد الحميد هجموا في الساعة عينها على قصر السيد المشار اليه ، وكان في سريره يعاني مضض الداء الذي اودى به ، فلم يقف ذلك في سبيلهم ، بل امروا بنقله على سريره الى جزيرة (الامراء) برينكيبو فظل بها بعض اشهر في فراشه حتى وافتهُ منيّتهُ رحمه الله ، وجاد بسحائب الرضوان على ثراه .

وهذا شيء من شعره .

يعاركني الزمان كما يشاء	وبي للحزن نشرٌ وانطواء
ولي قلبٌ عبثنَ بهِ الليالي	بفقد احبتي والفقد داء

فأيّ مسرة تحلو لقلبي ولون الماء يبرزهُ الاناء
تهاجت الهموم عليَّ حتى جرت عيني ومدمعها دماء
واوقات مع الاحباب مرّت عسى لا راع بُرهتها انقضاء

وقال يفتخر

كيف لا تزدهي بنا العلياء ولنا المجد طينة ورداء
امّة خير امة اخرجت لا ناس والناس بعدها اكفاء
قام منها في الاعصر السود اقما رُ رجال لها الشموس حذاء

ومنها

ارهبوا الارض حين صالوا وظلت تشكر الارض فعلهم والسماء
ولكم حينما رحى الحرب دارت سجدت حال ارعدوا الهيجاء
وتساوى بطاعة الامر منهم في الورى الاقرباء والبُعداء

ومنها

شرف المرسلين معنى نصوص لاح منها المحجّة البيضاء
نكتة الاصل روح جسم فروع الـ كون نور يهديه يستضاء
طلسم العلم في ضمير جنابه احرزت علمها به العلماء

وقال

للهِ من ريم الحجون شَرودِ لهفاً عليه هجرت طيب رقودي
يرنو ويرمي من قسيّ حواجب نبل الجفون بقلبي المكمودِ
افديه مكحولاً تحكّم سهمهُ منّي بقلب حاضر مفقودِ
يا للرجال ترحماً بمتيّم افنت مهالكهُ ظباء زرودِ
انا مغرم كم صاغ ضمن نظامهِ بيض المعاني في العيون السودِ

اهوى الجميل وان اقت مع النوى　　بيد البعاد مسربلاً بقيودِ

وقال واحسن كلّ الاحسان :

ما الذي اصنع بالنفس الابيّه　　تطلب المجد ولا تخشى المنيّه

وترى ان المعالي تُبتغى　　بكمالات واخلاق زكيّه

ما عليها لومع البعض ارتدت　　لنوال القصد اثواباً دنيّه

طُبعت قدماً مع الخلق على　　همم لو ساعد الحظ عليّه

تعشق المعروف للناس وان　　قوبلت عنه بانواع الاذيّه

وتكفّ السوء عن حسّادها　　لرضا الرحمن عن خالص نيّه

وتحبّ البذل من ما وجدت　　وترى النقص اذا ابقت بقيّه

ومنها

قنعت فالتحفت ثوب الغنى　　كلّ نفس قنعت تلك غنيّه

واعنائي هذه متعبتي　　انما النفس اذا عزّت بليّه

تكره الذل وترجو انها　　تبلغ العليا بخلقٍ وسجيّه

شرفت نهجاً فلما عظمت　　رتبة صارت من المال خليّه

وزمانٍ يالهُ من زمنٍ　　اهلهُ ساوُا بحكم الاغلبيّه

وبهذا القدر كفاية

٤٠ نقولاكي كبابه

ولد سنة ١٨٧٣ بحلب وتوفي بها سنة ١٩٢٣

هو نقولاكي بن نصر الله كبابة فقد اباه صغيراً وتلقى علومه في المدرسة الاسقفية للروم الملكيين بحلب ، وكان يكب على دروسه في العربية والفرنسوية حتى اصبح يكتب ويتكلم بالفرنسوية كواحد من ابناء تلك اللغة ، وكان له ميل شديد الى الشعر العربي ، وذا قريحة شعرية ، نظم ولم يصل الينا من نظمه ، الاّ ما ننشر بعضه في اخر هذه الترجمة .

كان صغير الجثّة ، عصي المزاج كثيراً ، نحيل الظل ، معروق العظام مسنون الوجه ، احول العينين ، واسع الفم والشدقين ، متفاوت الخلق ، ذكيّاً المحيّا ، حسن العبارة ، جيّد التعبير ، خفيف الروح ، طيب العشرة .

ولما خرج من المدرسة اشتغل بالتجارة مع اخيه ثم افترقا ، فلم يكد يضحك الدهر في وجهه حتى عبّس ، فظلّ يداوره حيناً ولكنهُ صارحهُ بالعداوة وما لبّس ، ولما اشتدت عليه وقعاته ، وضاقت به حلقاته ، تناول كأساً من سمّ ناقع ، واختصر حياةً كان بها غير قانع ،

قال في وجوب تهذيب المرأة :

هذّبوا المرأة يُسعدْ وطنٌ	وابذلوا السعي لنيل الادبِ
زينة المرأة علم وحجىً	بهما تفخر لا بالنسبِ
ان تريدوا اليوم اصلاحاً لها	كي تفوزوا برجال نُجُبِ
فابذلوا المجهود في تثقيفها	ذاك خير من غنىً مكتسب

وقال في تعليم الاولاد وتأديبهم :

ابذلوا الاموال في تعليمهم   انهم بالعلم قدراً يحرزون

حببوا الصدق اليهم والوفا   زينة الاوطان قوم صادقون

دون تهذيب رجال قد شقوا   يملأون اليوم ساحات السجون

والدوهم سببوا ذاك الشقا   وهم لاهونَ عنه غافلون

ومنها

امةٌ تطلب منكم واجباً   نبهٍ قوموا وانتم ساهرون

احسنوا تهذيب ابناءكم   علموهم تجتنوا ما تغرسون





القسم الثاني

القسم الثاني

وهو ترجمات الاحياء خلّد الله اثارهم واطال اعمارهم

٤١ الاستاذ ميخائيل الصقّال

شاعرٌ طويل النفَس صحيح السبْك ، حسَن الوشي متين الحبْك ، وعالمٌ من خواصّ اهل الادب ، ومن افراد ذوي الفضل والطلَب ، شديد التنقيب في اصول اللغة وشواردها ، كثير التدقيق في تعدية الافعال ومواردها نقيّ الصحيفة ، بصير بالنكتة الظريفة .

وهو ابن انطون الصقّال العالم الشاعر السابق الذكر ، ولد في مالطة يوم كان ابوه نازلاً فيها ، ثم عاد معه الى حلب طفلاً وقام بها .

ربعة القوام ، مسمون الجسم ، متين العصب ، ابيض اللون ، واسع الجبهة اسود العينين ، صغير اللحية ، مخروط الوجه ، مليح الجملة ، عصبي المزاج قد عمه ثلج الشيب ، تقرأ على محيّاه سيما سلامة الصدر ، عزيز النفس ، كريم العهد حسَن الوفاء ، طيّب الصحبة ، امين المغيّب ، مهذب الطرف والنطق ، حسن التعبير عن مراده باوجز لفظ .

اخذ العلم عن ابيه وهو كثير التردد ، ونظم الشعر في السادسة عشرة من عمره ، وهو يتكلم ويكتب بالتركية .

اشتغل حيناً من الزمن بفن المحاماة امام المحاكم بحلب ، ثم عاد الى الاشتغال بالادب ، ونزل مصر سنة ١٨٩٧ ونشر فيها مجلة الاجيال المصوّرة وكانت اول مجلة مصوّرة ظهرت في العربية ثم رجع الى حلب والّف كتابهُ

لطائف السحر، في سكان الزهرة والقمر، نحا فيه منحى الروايات التخيلية وضمّنه كثيراً من الفوائد الادبية والعادات الوطنية ، ثم عاد الى مصر واجتمعنا به كثيراً سنة ١٩٠٧ وقفل الى الوطن ، والّف رسالة شعرية في وصف بعض الخطوب الشهيرة سماها العِبَر وهي قصيدة تزيد على خمسمائة بيت متينة السبك ، عامرة الابيات طبعت بحلب ، ولهُ ديوان شعر كبير مرتّب القوافي على احرف الهجاء مبيّض مهذّب كلّ التهذيب ينوي طبعه ، ولهُ كتاب تأريخ كبير كسَّرَهُ على قسمين دعا الاول طرائف النديم في تأريخ حلب القديم وهو ما عُرف عنها قبل التأريخ المسيحي ، وسمّى الثاني لطائف الحديث في تأريخ حلب الحديث وهو من ابتداء التأريخ المسيحي الى اليوم وهذا الثاني قارب التمام وهو يشتغل بهِ اليوم بما اعتاده حياته كلها من الجدّ والهمّة ، ونرجو الله التوفيق بطبعهِ في القريب العاجل .

وهو من اخلص خلاَّننا ، واخصّ خلصائنا ، ولنا معه عشرة قديمة ، ومودّة صميمة ، وهو الصديق لا يُذمّ عهدُه ، ولا يُتّهم ودُّه ، ما تذكرنا معاهد الفضل وليالي الانس ، الاّ وكان ذكره قرّة العين وسرورَ النفْس ، متّعنا الله بدوام عافيته ، وطويل صحبته

وهو لم يزل منذ اربعين سنة عضواً من قبل القنصلية الانكليزية في المحكمة التجارية التي تُعقد لرؤية الدعاوي الاجنبيّة ، وقد انتخب منذ قريب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق بكل جدارة .

واليك شيئاً من محاسن نظمه :

هبّ النسيمُ على الرياض أصيلا ... حيث الحبيبُ فبات منه عليلا

فاعتلّ واعتذر النسيم تلطّفاً ... وغدوت متبول الفؤاد نحيلا

مولاي تفديك النفوس لانها ... لم تلقَ مثلك في الحسان جميلا
مولاي تفديك العيون بنظرة ... لو انها وجدت اليك سبيلا
فاهنأ سلمت من الاذى وانعم وعش ... جذلاً تطيب لك الحياة جزيلا

ومنها

لا اتقي وقع الصوارم والقنا ... واخاف طرفاً ان رنوتَ كحيلا
اني احنّ الى الظلام مسامراً ... ليلاً يحاكي الشعر منك طويلا

ومنها

لما غدا ماء المحاسن سائلاً ... في خدك الورديّ كان اسيلا
انا لا ابالغ ان اقل رضوان لم ... يبصر لحسنك في الجنان مثيلا

وقال ارتجالاً في غانية اشعلت لعبة في يدها كمنقود من نور وجعلت تديرها

وخود مذ بدت تسمى ارتني ... غُصين البان يشرق منه نورُ
فقلت لها ألست الشمس قالت ... ألم ترها على كفي تدورُ

وقال ارتجالاً

فتنت محاسنها العباد فان بدت ... غفلوا عن الناقوس والقداس
خود كأنّ الله كوّن جسمها ... من معدن الياقوت والالماس

وطلب الينا يومئذ تشطيرها على البديهة فقلنا

فتنت محاسنها العباد فان بدت ... سجدوا لهيكل قدّها المياس
او انصتوا يوماً لسحر حديثها ... غفلوا عن الناقوس والقداس
خودٌ كأنّ الله كوّن جسمها ... من جوهر الالطاف والايناس
ولو انّهُ من معدنٍ لبدا لنا ... من معدن الياقوت والالماس

وقال في الشيب

يا صباي الذي مضى يا صبايا كيف بالله ضيعتك يدايا
بتّ من حرقتي اناديك مهلاً ليت شعري متى تجيب ندايا
كنت لي ان اتيت ذنباً شفيعاً لا ترى الغيد زلتي وخطايا
كنت مني الهدى اذا النفس ضلّت يا مشيبي لقد سلبت هدايا

ومنها

ومهاةٍ تبسّمت لي وقالت كيف ابصرت بهجتي وسنايا
فرأيت الاعراض اولى وألاّ سلبتني بمقلتيها نهايا
واجبت الشباب أعرض عني فدعيني وذلتي وبلايا
واتركيني خلو الفؤاد فقالت انا اهواك فابتهج بهوايا
انا اهواك شاعراً واديباً فدع الشيب لي وثق بوفايا
فاقتسمنا الغرام لا تتمنى غيرها وهي لا تروم سوايا

وقال

لولا مخافة قولهم لو لم يجن لما انتحر
لقتلت نفسي عامداً ونجوت من شرّ البشر

وقال

قال امرؤ اترتشي فقلت لا ولم ولن
هل افعلن في السرّ ما اخجل منهُ في العلن

ومن فرائده

شكا اليّ صروف الدهر ظبي نقا يريك في طرفهِ السحار هاروتا
بكى فنزّل درّاً من مدامعهِ وصيّر الدرّ في خديه ياقوتا

وبهذا القدر من احسانه دلالة .

٤٢ الشيخ كامل الغزي

احد معاصرينا الالبّآء ، واصحابنا الشعرآء الادبآء ، وممن نباهي بهم عند عدّ اصدقآئنا العلمآء ، وهو فرد من الافراد الجامعين بين الادب والظرف ، وبين خفة الروح وعذوبة المنطق واللطف ، بصير بمذاهب الكلام ، عليم باسرار محاسن النظام ، حلو المعاشرة ، ظريف المحاضرة ، ذكيّ المشاعر ، سريع الخاطر ، يميل الى المزاح ، وتستريح الى كثرتهِ منه الارواح ، كما يستريح النديم الى كثرة الراح ، جوابه على رأس لسانه ، ونظمهُ على رأس القلم ببنانه ، لنا معه مجالس انس هي من مواسم العمر ، واعراس الدهر .

وهو ابن الشيخ حسين الغزي السابق الترجمة ولد بحلب سنة ١٢٧٠ هجرية ونشأ بها واخذ العلم عن الشيخ محمد الكحيل والشيخ مصطفى الكردي وسواهما فنال حصة وافرة من علوم الفقه والحديث والمنطق والعربية والشعر ونظم وهو فتى .

واستصحبهُ محمد رشدي باشا الشرواني الى مكة المشرفة سنة ١٢٧٨ وكان على صغر سنه حينئذٍ ، بادي النجابة وافر الادب ، وظل بها ثمانية اشهر ولما توفي الوزير المذكور عاد الى حلب .

ثم تقلّب في المناصب فانتُخب لرئاسة الكتّاب في المحكمة الشرعية بحلب مرّتين ، وسُمّي مديراً لمكتب الصنائع وهو اوّل مؤسس لهُ ، ورئيساً لمجلس بنك الزراعة ، ورئيساً لغرفة التجارة ، وعضواً في المجلس البلدي ولم يزل فيه الى اليوم متّعنا الله بطول عمره

وهو ربعة الى القِصر ، نحيف الجسم ، ظمآن المفاصل ، حنطي اللون الى البياض ، صغير العينين اسودهما ، كبير الاذنين ، واسع الجبهة ، اقنى ،

رقيق الشفتين ، معتدل الفم ، صغير اللحية خفيفها ، مليح الصوت ، قد عمّهُ بياض المشيب لهُ همة الشبان وحكمة الشيوخ .

ولهُ من المؤلفات – واكثرها لم يزل بخطه – الروضة الغنّاء ، في حقوق النساء ، على الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ، وجلاء الظلمة ، في حقوق اهل الذمّة ، وعرّب عن التركية كتاب اتحاف الاخلاف في احكام الاوقاف ولهُ ديوان شعر كبير ، وتأريخ حلب في اربعة مجلّدات يشتمل على حوادث حلب منذ دخول الاسلام اليها الى يومنا هذا ويتضمن تراجم علمآئها وادبآئها وشعرآئها ومن وردها وسكنها مدة من الفضلاء ، وقد نجز طبع المجلد الثالث منهُ ، ولا ندري لماذا بدأ الثالث ، وندعو لهُ باتمام طبعه كله .

واليك شيئاً من قلائد شعره ، قال من ارجوزة في اداب المخالقة تربو على مئة وعشرين بيتاً وجعلها تحفة لطفلهِ المولود من سنتين اقرّ الله بهِ عينيه قال بعد التحمدة

حقّقت لي بعد القنوط المرتجى ... ما خاب ذو رجو عليك يعوّلُ
فمنحتني كرماً غلاماً وجههُ ... اضحى بهِ وجه المسرّة يقبلُ

ومنها

أبُنيّ انت وديعة الله الذي ... هو بالودائع خير من يتكفّلُ
ابصرت نجمك في الديار وانني ... لاخال شمسي عن قليل تأفلُ

ومنها

ودع الفضول ولا تلج في مدخلٍ ... ما أن بهِ لحظوظ نفسك مدخلُ
ولغيرك ارضَ ما لنفسك ترتضي ... هذا هو الشرع الاتمُّ الاكملُ
حسّن ظنونك بالانام تأدباً ... وكن امرأً عن كيدهم لا يغفلُ

ودع الفضول من الكلام كقولهم ... أسمعت َ أو أفهمت َ أو هل تعقل ُ
هذي ْ عكاكيز ُ اللكونة فابتعد ... عنها والا ّ آستاء منك المحفل ُ

وقال

ما صدّ طيف خيالها او زارا ... الا ّ احتملت ُ بحبها أو زارا
نال الغرام من الفؤاد منالهُ ... عدل الحبيب بصبه أو جارا
مستعذب عندي العذاب بهاوان ... ابدث الي ّ من الصدود مرارا

ومنها

دارت ذراعي فوق دارة خصرها ... فحسبت نفسي في البرية دارا
هاج الحياء بخدها فاعاده ... وردا يؤجج في الجوانح نارا

وقال ارتجالاً وقد اقتُرح عليه المعنى

كأن البدر لاح لناظريهِ ... خلال الدوح يخفى ثمّ يظهر ْ
جبين ْ مليحة بالحسن زاهٍ ... عليهِ شعر غرّتها تبعثر ْ

ومن زهرية

نبّه عيونك للنسيم الساري ... فالطلّ نبّهَ مقلة الازهارِ
هتك الربيع من الربى اسرارها ... فبدت محاسنها لدى النظّارِ

ومن أخرى

جعلت بحقّة ثغرها القسنيا ... والدر ّ في سمط العقيق نظيما
وحلت من الحلي النجوم َ وارسلت ... من لحظها للعاشقين رجوما

وكتب الينا ملغزاً في برق

يا شمس َ فضلٍ يا بديع الذاتِ ... يا من بكلّ فضيلةٍ هو آت
يا من اذا ذو الفهم اظلم فكره ُ ... حلّ العويص اذاح ذي الظلماتِ

يا واحد الدنيا وزينة اهلها ... روحي الفداء اليك في الشدات
اوضح لنا شيئاً يكون اذا بدا ... كمهند يسطو على الهامات
سكن السماء وقدغدا ثلثاه تحـ ... ـت نعالنا في سائر الحركات
هو للعدو اذا بدا تصحيفهُ ... مع قلبه بيت من الابيات
مقلوبه يرجوه من محبوبه ... ابداً محبٌّ دائم الحسرات
اولاه غبّ الرتبتين كنصفهِ ... وكضعف آخره وربع فرات
واذا حذفت اثنين اجزائه ... اضحى بمنزلتي لكم ساداتي
واذا طرحت النصف منه وجدته ... مثل القراد بهذه الاوقات
واذا ابنت القاف ثم قلبتهُ ... اضحى المليك منزَّل الايات
هو شطر اسم مسند تركيبه ... ان عينهُ نصلت من السكنات
واذا ابيت سوى البيان فها كه ... ما فيه حرف عُدَّ في العشرات
مع انهُ في الاربعين وحقكم ... يأتي بجملته فخل بثبات
لازال في قلب تملك حبكم ... قرب الحمى منكم دوام حياتي

وقال مشبّها

كأنّ خيال بدر التّم يبدو ... على صفحات موج قد تكسر
كرات من لجين ساطعاتٌ ... على درجات بلور تحدّرْ

وقال في موذّن قبيح الصوت

اقول لعمرو حين صاح موذّناً ... بصوت حمار ضجَّ منهُ حمانا
بصوتك آذيتَ الانام فقل لنا ... أردتَ اذاناً أم اردت اذانا

ومحاسنه كثيرة وطرائفه وفيرة وبهذه اللمحة منها شاهد ناصع .

٤٣ عبد الحميد افندي الجابري

هو ابن شاعر وشقيق شاعر ، وقد فاتهما وكم سبق المتقدمين آخر ، وهو اديب نبيه ، وشاعر واضح المنهج وفقيه ، مرهف الذهن سريع الفهم بصير باستنباط الادلة في وجه الخصم ، من بيت مجد بالوجاهة معروف وبالفضل والادب موصوف .

حلو العشرة ، لطيف المحاضرة ، حسن المصاحبة ، متطأمن الجانب ، يهتز للنادرة الظريفة ، وهو ابن صديق افندي الجابري السابق الترجمة .

تام الطول ، مخروط الوجه ، ابيض اللون ، اسود العينين صغيرهما ، رقيق البدن ، معتدل الانف والفم ، عصبي المزاج ، قدعمه الشيب .

عُين عضواً في محكمة الحقوق ، وانتُخب عضواً للمؤتمر السوري ورُشّح للافتاء بحلب ، وانتُخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الشام .

ولهُ من المؤلفات كتاب ارتباط التمدن بدين الاسلام مطبوع ، وشرح كتاب المرأة الجديدة لقاسم امين ، ورسالة في اباحة اكل اللحوم ، ورسالة المقصود من الدين ، ورسالة البيان في النحو ، وديوان شعر ، وجميع ذلك لم يزل غير مطبوع .

قال واجاد

أحتىّ الان تمروك الشجونُ ... وتشجيك المباسم والعيونُ
ألا ينهى نُهاك عن التصابي ... وتعلم انّ من يصبو يهونُ
نعم لي قلب ذي شجن الوف ... على حبّ الهوى انى يكونُ
تسير بهِ الصبابة حيث شآت ... وفيه لكلّ طارقة سكونُ

ومنها

اهيم بكل حسن قد تبدّى ... وللحسن المظاهر والشؤونُ
فان لم تفضلِ الشعراء معنىً ... فسرُّ الحسن بعد هو المصونُ
ومهما جاذبت لبّي فنون الـ ... ـجمال لهُ الى الاسمى ركونُ
وحسن الخُلق اسمى كل حسنٍ ... وحبّ الفضل اشرف ما يكونُ

وقال

تشوق من يهوى لحنٍّ الى القربِ ... وكيف حنين المستهام الى الحبِّ
دعوهُ يفيض الدمع فالعين عينه ... ولا تعذلوهُ فالبكا راحة القلبِ

ومنها

يرى الصحب اني حاضر عند عذلهم ... ولكن مكاني ليس يعلمه صحبي
غريب وحيد في مرابع اهلهِ ... نعم محتدي شرق ومرماى في الغرب
رأيتُ الذي ما كنت احسب بعضه ... فحسبي من الايام معتبة حسبي

وقال

الحسن يعشق في المعاني والصور ... حظّ البصيرة ذا وذا حظ البصر
والفضل جذّاب القلوب لحبهِ ... ان كان حسن الوجه جذّابَ النظر
ان هام غيري بالقدود وبالنهو ... دِ وبالثغور وبالشعور وبالطرر
ما همت الاّ في مكارم من لهم ... همم تشيّد في المعالي ما اندثر
فهناك يجدر بي التواجد اذ ارى ... من لام غيري في المحبة لي عذر
لسني اقول لغير من حاز السيا ... دة سادتي فالكذب من احدى الكبر

٤٤ الخور فسقفوس جرجس شلحت

اديب ولوع بالعلوم ، قد ضرب في سهمي المنثور والمنظوم ، وهو من العلماء المحققين ، وجهابذة اهل النظر الراسخين ، وقد عرفناه فلم نذمم معرفته ، وعاشرناه دهراً فحمدنا صحبته والفته ، مهذب العبارة ، حسن الاشارة ، فصيح اللسان ، فسيح البيان ، غزير المادة ، واسع الحفظ ، جميل الخط ، صادق العهد ، جميل الود ، مأمون المغيّب ، رقيق الحاشية ، مليح النكتة ، فكِه الاخلاق ، سريع الفهم ، متلهب الذكاء .

معتدل القامة الى الطول ، ممتلئ الجسم الى السمن ، قوي البنية ، وضّاح المحيّا ، صبيح الوجه ، اسود العينين واسعها ، معتدل الانف والفم ، اسود الشعر قد وخطه الشيب قليلاً .

تلقى علومه في مدرسة الرهبان الفرنسيسكان بحلب ثم اكمل دروسهُ في مدرسة عينطورا بلبنان وقرأ العربية والسريانية في مدرسة الشرفة بلبنان ايضاً ، وهو يتكلم ويكتب جيدا بالفرنسوية والطليانية ، ولما رجع الى حلب خصّهُ عمّهُ الطيّب الذكر البطريرك جرجس شلحُت بكتابة اسراره ثم سيم كاهناً ثم رقي الى رتبة الخور فسقفوس ، وكان يعلّم في مدرسة طائفته السريانية بحلب ، ثم انشأ مدرسة سمّاها مدرسة الترقي للذكور وجعل منها قسماً للبنات ، وكان يلقي فيها بعض الدروس ، ثم نشر مجلّة الورقاء صدر منها ستة اجزاء اكثرها مدبّجٌ بقلمه ، ثم قصد مصر في اول الحرب العامّة ، ولبث بها الى سنة ٩٢١ ثم عاد الى الوطن ، وانتُخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الشام .

ولهُ من الآثار كتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين ، وارجوزة عنوانها الكون والمعبد ، ورسالة عنوانها الطراز المعلم ، في مديح مريم ، والنخبة تعريب من امثال فنلون شعراً ، والشكوى او محاورة حكيم ، ومناجاة الارواح ، وكلها مطبوع وجلّها بالشعر ، ولهُ مقالات في الضياء والمشرق .

وقد عاد الى مصر قبيل كتابة هذه السطور ، واليك شيئاً من نظمه .

يا ليتني عدتُ صغيراً راكباً ⁂ دراجةً بين هتاف وجلَبْ
الاعبُ الاحداث في مسيرهم ⁂ ومعهم امشي الهوينا والخببْ
ومعهم اركض ركضاً تابعاً ⁂ هواهمُ وهْو مدعاة الطربْ
والهمّ انفي عن جناني بينهم ⁂ وعن فؤادي بهم اجلو الكربْ

وقال من مقصورة سماها الفلك النوحية :

ما بالُ اهل الارض اصبح همهم ⁂ في حشد ما امسى لهم عنه غنى
شبانهم يتبجحون ويسرفو ⁂ ن وكلّ شيء عاينوهُ مشتهى
ورجالهم لا تعتني بسوى الغنى ⁂ وسوى الركوب من العُلى فوق المطا
يسعون في جمع الثرا دون اعتنا ⁂ بحلالهِ وحرامهِ فهما سوى
القابهم تحكي شعور امارة ⁂ وضعت لفودي اصلع وضع الحنا
علماؤهم علم الطبيعة دأبهم ⁂ وكهولهم حوز التصدر للقضا
فن المعادن والنباتات الغنى ⁂ ومن المناصب والقضا جاه الفتى

وكتب الينا عند قرآءته موشحنا ميلاد الربيع في مجلة الضياء .

ألا إن شرع الشعر تجسيمُ ارواحِ ⁂ وتمثيلُ وجدانٍ وتجريد اشباحِ
وايداع ميزانٍ فواصل حكمةٍ ⁂ اذا دجت الاذهان لاح كمصباحِ

ووصف معاني الحسن في كل مظهرٍ　　بهِ درءُ اتراحٍ ونشأة افراحِ
وتصويرُ ما في كوننا من مشاهدٍ　　بمنطق سفّاح ونغمة صدّاحِ
فذاكَ هو الشعر البديع وذلكم　　موشّح موري زندِ مجدٍ وقدّاحِ
هو السيّد الحمصيُّ ذو النبل من لهُ　　من العالم العُلوي فتحٌ كمفتاحِ
وذا كم ثنائي كالربيع وانّهُ　　ليغني صحابي عن زيادة ايضاحِ



٤٥ السيد مسعود الكواكبي

فاضل متضلّع من فنون الادب ، ولهُ معرفة تامة باخبار العرب ، وقور النفس ، نقي العرض والطرس ، وهو من بيتٍ لهُ في الشرف والعلم جاهٌ عريض ، ولم نكن نعلم انّهُ ممن ركب بحور القريض ، على معرفة بهِ عهدها بعيد ، ومودة بيننا ميثاقها وكيد ، حتى اطّلعنا لهُ في هذه الايام ، على ابيات بخطّهِ انيقة النظام ، قال طال بقاؤه

يدون من نظيمي وخطي قصيدةً	تخبّر بعدي عن حياةٍ قد انقضت
هأنذا حيٌ ومالي خطورةٌ	فما اثري من بعد عيني اذا مضت

وقال

وان غرّ غراً ان خلقي هيّنٌ	وشاهدَ بي ما ليس يعدو حقيقتَهْ
فسفوتُ كماء المُزنِ فالعذر بيّنٌ	لمن رام شربي او رأى فيّ صورتَهْ

وقال ولعله يعرّض

نصحتُ فما اثّرت في ذي تعنّتٍ	لهُ اذن صمّتْ عن النصح والزجرِ
وان الصواب المحض بادٍ وظاهرٌ	يراهُ ذوو حجرٍ واين ذوو الحجرِ
وما نافعي مشيي الى وجهة المدى	اذا كنتُ في فلك الى عكسها يجري

تقلد في اول شبابه الكتابة في محكمة التجارة بحلب ، ثم عُيّن فيها رئيس الكتاب ، ثم انتُخب عضواً لمجلس المبعوثان العثماني نائباً عن حلب ، ثم عيّن نقيب الاشراف فعاد اليها ، ثم رُشّح للافتاء ، ثم تقلد امانة الكتابة لرئيس الاتحاد السوري ، ثم عُيّن عضواً في محكمة التمييز بالشام الى اليوم ، وكان في مناصبهِ كلها مثال الاستقامة ، ناصح الجيب ، قد طوى

باطنه على مثل ظاهره ، وهو عارف بالتركية جيداً وكاتب بها ، وله وقوف تام على القوانين التركية والكتب الشرعية ، سريع اليد في الكتابة واذا رقن كتبه كانت سطورها سبائك الفضة ، وهو مولع بالاتقان ، وقد انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي .

ربعة نحيف البدن ، عصبي المزاج ، اسود العينين ، مليح الانف والفم ، رقيق الشفتين ، حنطي اللون ، مخروط الوجه ، قد تقشع فيه الشيب ، وهو شقيق المرحوم عبد الرحمن الكواكبي الشهير صاحب كتابي طبائع الاستبداد وام القرى .



٤٦ الخور فسقفوس جرجس منش

فاضل لهُ من العلم قسط معروف ، ومن فن التاريخ سهم موصوف ، واسع الاطلاع ، كثير التنقيب ، جيد الحفظ ، جميل الرقمة ، منمق الخط ، ولنا بهِ معرفة قديمة ، وبيننا صحبة عهودها غير ذميمة .

معتدل القامة ، ممتلئ الجسم ، قوي البنية ، جهير الصوت ، ابيض اللون ، مستدير الوجه ، اسود العينين ، معتدل الانف والفم ، كبير الرأس والمنكبين ، كبير االلحية ، وقد تعجلهُ الشيب فعمهُ ، حديد المزاج ، قليل المزاح ، نقي الصدر ، محب للمباحث التأريخية ، ولا سيما ما لهُ علاقة بطائفة المارونية .

تلقى دروسه العربية والسريانية في مدرسة مار عبدا بهرهريا ، ثم سيم كاهناً وعاد الى حلب ثم رقي الى رتبة خور فسقفوس .

ولهُ من الآثار ، المستطرفات في حياة جرمانوس فرحات ، والتحفة الادبية في مجامع الموارنه ، والطرفة الشهية في الرهبانية الفرنسيسية ، وتقويم المطبعة المارونية ، ومقالة في اثار حلب نشرت في مجلة الاثار ، ورسالة في رحلة الى جرابلس عاصمة الحثيين ، والحق القانوني عند الموارنة وهو تحت الطبع ، ومقالات في مجلات المشرق وكوكب البرية ، والزهور ورسالة السلام وقد انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي ، وقرض الشعر قليلاً .

قال يهنئ المطران يوحنا مراد بعوده من سفر .

ألا ايها الحبر المعزز شأنهُ	بعودك صاغوا التهنئات وحبروا
مللت الثوى حتى طربت الى النوى	وحتى رأيت الارض تطوى وتنشرُ
فسرت الى مجد الى سؤدد الى	محط السهى حيث العلاء مصدرُ

الى رومة واستانة وفرنسة بلاد على كل القواعد تفخرُ

ومنها

بعودك اضحت بملبكٌ حفيّة تصفّق من فرط السرور وتطفرُ

فلا اوحش الرحمان منك معاهداً على مرّ ايام بانسك تعمرُ

وقال يعزي

حباك الله يا الياس لطفاً على انطون بالاجر الجزيلِ

فمن احسانهِ كافاهُ خيراً فما احراك بالصبر الجميلِ

وقال تاريخاً ليطرّز على قطيفة سنة ١٩٠٢

اخت العفاف كميلةً قد شمت منكِ تلطفا

بالعيد اذ أرّخت يدي تهديكِ تذكار الوفا



٤٧ باسيل الفرآء

هو شاعر لو انصرف الى الادب والنظم ، لفاز منهما بالسهم الوافي الاتم وستجد مما ننشره لهُ ادناه ، مصداقاً لما ذكرناه ، غير ان صناعة الشعر وان كانت اشرف الصناعات ، فليست باروج البضاعات ، ولا هي بالتجارة الرابحة ، وليست بالامنية السانحة ، فانصرف عنها المترجَمُ عليه الى سواها ، وان كان في قلبه ما فيه من هواها .

هو باسيل بن فتح الله الفرآء ولد بحلب ونشأ بها ، وتلقى علومه في العربية والفرنسوية والطليانية في مدرسة الرهبان الفرنسيسيين بحلب ، فنال منها ولاسيما الفرنسوية حظاً كافياً ، ولما خرج من المدرسة تخذ وظيفةً في محل تجاري وكان يقرأ ليلاً بعض علوم العربية مع غيره من الفتيان ، على المرحوم القس توما ايوب وكان من الاساتذة المشار اليهم بالبنان .

ثم دخل المصرف السلطاني العثماني وعُيّن معاوناً لامين الصندوق ثم اميناً للصندوق في حلب ، ثم عين منذ سنتين او اكثر مديراً لشعبة المصرف المذكور في مرسين وهو فيها هناك الى اليوم بهذه الوظيفة .

وهو معتدل القامة الى الطول ، نحيف البنية ، دقيق الشبح ، مسنون الوجه ، ابيض اللون ، اسود الشعر واسع العينين اسودهما ، رقيق الشفتين معتدل الانف والجبهة ، مهذب النطق ، جيّد التعبير ، مليح الاسلوب ، رقيق الشمائل سريع الفهم ، ذكيّ الفؤاد .

قال من قصيدة

عن ثغرها لا تسألنْ ففيهِ لبُّ الصبِّ حارْ

فيه لآلىء سابحـا ... تٌ في غديرٍ من عقارْ
وكذاك فيهِ عقيقتا ... نِ تداومانِ الافترارْ
يحكي شذاه المسكَ او ... عرف الخزامى والبهارْ

ومنها

يا بدر قل هل فيك من ... شَبَهٍ الى ذات السوارْ
ان كنت ترعم ان نو ... ركَ فيه مدعاة الفخارْ
فالفرق بينـكما يُرى ... كالشمس رائعة النهارْ
نور المليحة ملكها ... لكنَّ نورك مستعارْ

وقال يرثي ازهر نجل صديقنا العالم الاستاذ ميخائيل الصقال وكان فتى نجيباً

يا موت ويحك قد قصمتَ الاظهرا ... واذبت حبّات القلوب تحسّرا
افنيت ما بالعين من ماء لذا ... سالت مدامعها نجيعـاً احمرا

ومنها

قد مات ازهر يا لها من نكبةٍ ... كادت لها الاحشاء ان تتفطّرا

ومنها

حيث الحصافة والرزانة والحجى ... حيث الكمال على الجمال قد انبرى
حيث الطهارة فاح طيب عبيرها ... حتى تخال النعش مسكاً اذفرا

ومنها

صبراً أميخائيل في حكم القضا ... فالمرء في دنياه ليس مخيّرا
ان الذي ابكاك مرُّ فراقه ... اتى السعادة والجزاء الاكبرا
تذكاره في الارض ينفح عنبراً ... والروحُ في الجنّات تُسقى الكوثرا

وقال في موسيقية بارعة :

رَدّدي اللحنَ رحمةً بالمتيّمْ وأزيلي عن مهجتي صدأ الغمْ
وابعثي الراح للفؤاد فروحي نزل اليأس في خباها وخيّم
والمسي العاج بالبنان فكم أذ طفت باللمس والاشارة ابكم
اذ لدى لمسك الجماد رأينا معجزات لها اللسان تلعثم
كان عاجاً فاهتز بعد انين وغدا العاج ناطقاً يتكلّم
انّ عزفاً سمعتُ منك لعزفٌ انا ادري بما حواه واعلم
هو للصبّ بالفنون نعيمٌ ولكلّ من الجراحات بلسم
لفتى ذاب من جواه فامسى مثل برج اركانهُ تتهدّم
واذا قيلَ ما به فأجيبي أعذروهُ فروحهُ تتألمْ

٤٨ الشيخ ابرهيم الكيّالي

عر سمح القريحة ، ذو نكات ظريفة وقواف مليحه ، مطبوع على النظم ، قد خاض من بحاره العذب واليم ، ثم قاطمهُ منذ مقاطمة الشباب ، واحتلال مكانه الثقيل من الاصحاب .

هو ابن السيد صالح ابن السيد سعيد ابن السيد احمد ابي الخير الكيالي الرفاعي من بيت علم مشهور ، وفضل مذكور ، ولد بحلب ونشأ بها واستفاد كثيراً من تردده على مجلس الامام العلاّمـة المأسوف عليه قاضي القضاة الشيخ بشير الغزّي .

وهو فصيح اللهجة ، حسن البيان ، متطأمن النفس ، سلس القياد ، خفيف الروح ، حلو العشرة ، كثير المزاح .

ربعة القوام ، ابيض اللون ، اسود العينين والشعر ، متناسب الاعضاء حسن الملامح .

واليك شيئاً من شعره :

ولقد يعللـني الحبيب بموعد ... منه واعلم انـهُ لا يصدقُ
ما حيلتي انا غارق في حبّهِ ... ان الغريق بكل حبل يعلقُ

وقال من خمريّة واحسن

مدّت اباريـقي لها اعناقهـا ... شوقاً كفعل العاشق المتاح
طارت الى استقبالها بطآتنا ... وقلوبنا طارت بغير جناح
واصطفّت الاكواب ماثلة وقد ... قامت على اقدامها اقداحي
وسعت على ايدي الندامى بعدما ... اشباحها كانت بلا ارواح

برقت اساريرُ الزجاجِ واغربت ... بالسكب قهقهة من الافراحِ
كانت اذا استنطقتها خرساً وها ... هيَ ان دعوت تجيبك بالافصاحِ

وقال

لقد بزّ ثوبَ الصبر مني اذ عزّا ... مليح يهزّ التيهَ قامتَهُ هزّا
بديعِ جمالٍ لو تبدى لمشركٍ ... بآية حسن منه ما عبد العزّى

ومنها

لقد دق منه الخصر عن درك ناظري ... لعمري حتى رحت احسبه لغزا
اذا ما نضا يوماً سيوف لحاظهِ ... فيا ويح اكبادٍ باسيافها تُغزا

ومنها

يصدّ فيغريني بهِ رمزُ لحظهِ ... فها انا اذا اقضي ولا افهم الرمزا
وكانت قناتي لا تلين لغامزٍ ... فقد صرت من الحاظهِ اعشق الغمزا

وقال مخمّساً لامية المعري

بغير مقام الفضل لست افاضلُ ... وعن غير ابكار العُلى لا اناضلُ
اقول وقول الحق ما انا قائلُ ... الا في سبيل المجد ما انا فاعلُ
عفاف واقدام وحزم ونائلُ

ومنها

وقد زادني زهداً بعيشي فاجرٌ ... يطاول ارباب العُلى وهو قاصرٌ
اقول وقولي في البرية سائرٌ ... اذا وصف الطائيَّ بالبخل مادرٌ
وعيّر قسّاً بالفهاهة باقلُ

ومنها

ودامت على الادبار للدهر شيمةٌ ... ولم تبدُ للاقبال يا سعد سيمةٌ

ولم تسمُ يوماً للمعارف قيمةٌ　　فيا موتُ زرْ انّ الحياة ذميمةٌ

ويا نفس جدّي ان دهركِ هازلُ

ومنها واحسن

كأنّ ذكآء الافق ادعى سطوعها　　لنحسي فلا يُرجى لعيني طلوعها

كأنّ نجوم الليل معي ضليهُا　　كأن الثريا والصباح يروعها

اخو سقطة او ظالع متحاملُ



٤٩ الخوري قسطنطين الخضري النائب الاسقفي على حلب

ولد بحلب سنـة ١٨٥٧ مسيحية

احد افراد الاذكياء ، ولبيب من نوابـغ الالبآء ، راجح حصاة العقل ، سهل الجانب متوفر الفضل ، خطيب رطب اللسان ، حسن البيـان ، صادق الجنان ، اذا ارتقى فوق المنبر ، قيل كانما هو الذي حكى عنه الحريري واخبر ، « فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الاسماع بزواجر وعظه » ولهُ نظر يخترق حجب الضمائر ، ويكاد يقرأ مكنونات الخواطر ، والمعية ناطقة وفراسة صادقة ، مطّلع على طائفة من العلوم العربية ، ولهُ المام بكثير من المعارف العصرية ، متبحّر في علمي الجدَل والكلام ، يحل عويصات المسائل حلّ امام ، مهذّب العبارة ، حسن الرواية ، يميل الى النادرة والمزاح .

معتدل القامة الى الطول ، عصبي المزاج ، نحيل الظـل ، ابيض اللون متناسب التقطيع ، قد عمّهُ المشيب ، سليم الذوق ، جيّد الحفظ ، عليم بمواقع اللفظ ، خبيرٌ بنقد جيّده ورديئه ، يعبّر عن ضميره باجلى العبارات ، صادق الودّ ، كريم العهد ، وهو اقدم اصحابنا ، واكرم احبابنا ، واطول الخلان لنا عشرة ، واوفرهم بنا خبرة ، واحفظهم لمنثورنا والمنظوم ، وممّن نباهي بفضله وصداقته بين العموم .

لهُ اربع مجلدات من المواعظ ينوي طبعها ، وقرض الشعر قليلاً ، وكنا اطّلعنا لهُ على شيءٌ منه ، فلما طالبناهُ بهِ لنثبتهُ هنا أبى علينا ذلك ، منكرا ان تكون لهُ يد في الشعر ، وان الذي كان رواه لنا نظم قصد به تمرين نفسه على القريض ايام شبابه ، ثم علم ان القريحة الشعرية ليست من اصحابه ، على

اننا وقفنا له على الابيات الاتية نظمها منذ عهد قريب وفيها معنى حسن ولمّا هو مبتكر قال اطال الله عمره.

يقولون لي قد كنت تسرع في الخطى ... فلِم صرت تمشي اليوم والخطو كالطفل

لقد صدقوا اذا انني كنت حاسباً ... طريقي طويلاً يقتضي خفّة الرجل

ولكنني مذبان لي قِصَرُ المدى ... تبأطأتُ حتى بتُّ امشي على مهل



٥٠ ترجمة مؤلف الكتاب

هو قسطاكي بن يوسف بن بطرس بن يوسف بن ميخائيل بن بطرس بن يوسف بن ابرهيم بن سليم بن ميخائيل مسعد الحمصي الجدّ الاعلى الذي قطن بحلب .

حدثت هجرة عن حمص في الربع الاول من القرن السادس عشر لاسباب طمستها ظلمات تأريخ ذلك القرن في هذه البلاد ، ولعلها منبعثة عن غارة الترك وافتتاحهم سورية ، فهجر حمصاً كثير من اهلها او بامر الفاتح السلطان سليم الاول ، وتفرقوا في سائر مدن سوريا ، وكان فيمَن هجرها ميخائيل مسعد سنة ١٥١٧ فهبط الى حلب وقطن بها ، وقيل لاول اولاده سليم مسعد الحمصي نسبةً الى مدينة حمص وطن ابيه ، ثم زالت الكنية على توالي الزمن وبقية النسبة .

وكانت من هذا البيت في دمشق اسرة انطون الحمصي وجدُّها الاعلى ميخائيل بن سليم توطن الشام .

وكذلك أُسَرُ الحمصي في مرسيليا وباريز ولندن ، فهي من الاسرة الحلبية اذ هجر حلب اثنان منها ، هما الاخوان ميخائيل وجرجي سنة ١٨١٨ ونزلا مرسيليا واعقبا فيها .

هكذا ساق اصل هذا البيت الكاتب الاديب الفرنسوى غاستون بن انطون بن ميخائيل بن يوسف الحمصي المولود والمقيم في مدينة مرسيليا ، في مشجّر مطبوع ومؤلف آخر ، عن اصل اسرته وصعد بها الى الجد الاعلى (بيير) دهلاماس الفرنسوي المكني بمسعد **Pierre De ia masse**

احد نبلاء الصليبيين سكن حمصاً واعقب فيها ، وقد يكون حل طرابلس اولاً ثم توطن حمصاً هو او احد اعقابه .

مولدهُ

ولد المترجم عليه بحلب سنة ١٨٥٨ في الرابع من شهر شباط قُبَيل الفجر وهو ثاني الذكور ورابع ولدٍ لوالديه يوسف الحمصي وسوسان بنت عبدالله بن جبرائيل بن يوسف بن متري بن جرجس بن يعقوب بن فياض بن يعقوب بن ديمتري المدعو بمتروك الدلاّل ، والبيتان من اشهر بيوتات حلب .

وفقد والده وهو في الخامسة من سنيِّهِ فربّتهُ والدتهُ – وكانت من فُضليات النساء تحسن القراءة وتحب الشعر – مع اخوته الثلاثة واخواته الاثنتين في نعمة وافرة ، وتوفيت والدته في السنة ١٨٨٨ فأرّخ وفاتها صديقهُ الحميم الامام الشيخ ابرهيم اليازجي بالابيات الاتية :

من آلِ دلاّلٍ كريمة معشرٍ ... ادمى النواظرَ بينُها والاكبُدا
وآتْ وقد تركت لنا من بعدها ... ذكراً جميلاً بالمراحم رُدّدا
نزلت ثرى الحمصيِّ يوسفَ بعلها ... فثوت بجانبهِ كما حكَمَ الردى
فكتبتُ تأريخاً يُسطّر حولها ... يا تربةَ السوسان باكركِ النّدى

١٨٨٨

فُتوَّته ودروسه

اتمّ في الحادية عشرة من عمره تعلم القرآءة العربية ومبادىء الخط في كتّاب طائفتهِ الروم الملكيين بحلب ثم انتقل منهُ الى مدرسة الاباء رهبان مار فرنسيس ، ودرس فيها مبادىء اللغتين الفرنسوية والطليانية والنحو ،

لكنه لم يقم بها سوى خمسة عشر شهراً كان فيها مثال الاجتهاد .

واول شعر قالهُ هجا بهِ احد رفاقه في المدرسة المذكورة وذلك في الثالثة عشرة من سنّه ، فشكاهُ المهجو الى رئيس المدرسة يومئذ الاب كودنسيو المعروف بالاب فرح ، فاستدعاهُ اليه وساله هل الشعر لهُ ، فلم ينكر مع شدة خوفه من العقاب ، ولكن الرئيس المشار اليه كان يحب اللغة العربية ، عارفاً بنحوها وصرفها جيّداً ، وعلى جانب عظيم من الحلم والدعة ، فوبّخهُ باطف قائلاً ان الله قد منحك موهبة سامية فيجب عليك ان لا تصرفها في غير موضعها ، والهجاء مذموم مكروه ، ولاسيما لاحد رفاقك في المدرسة .

فخرج من غرفة الرئيس وهو يكاد لا يصدق اذنيهِ بما سمعتا ويقول في نفسهِ اذن انا حقيقة شاعر ، ولم يكن اطّلع على شيء من علمي العروض والتصريف ، ولا درس الا الاجرومية وشيئاً من بحث المطالب ، فزادت رغبته في درس النحو والصرف ، ونال تلك السنة في الامتحان اول جائزة في العربية .

ولما ترك المدرسة المذكورة ، ولم يبلغ من اللغات الثلاث الا القليل او دون القليل ، اقام على دراسة الفرنسوية والنحو بعض اشهر على قسّيس كان يدرّس في بيته بعض الفتيان ، ولم يستفد من ذلك كله غير القرآءة والكتابة والتكلم بالفرنسوية قليلاً .

ثم اكب على المطالعة بنفسه ولكن لا كما كان يريد ، لانه منذ السادسة عشرة عكف على الاعمال التجارية في محل ابيه وجده ، وكان باقياً على اسم جده واولاده بعنوان بطرس حمصي واولاده ، ومعدوداً في رأس البيوت التجارية بحلب ، وكان يديره بعد وفاة والده ، رجل امين يُدعى الشمّاس

بطرس دوناطو ، وهو من افراد البشر عفافاً وامانةً ، وتقشفاً وقناعةً ، وصدقاً وسذاجةً ، الى فضائل ليس هذا موضع ذكرها .

وقد يكون المؤلف اشطَّ عن الموضوع في ذكر هذا الرجل والمحلّ التجاري ، ولكن أنّى لهُ ان يتعرض لذكر فتوته في ترجمته ، ويعرض عن ذكر اسم المربي الصالح والوالد الثاني والاستاذ ، فقد علّمه مسك الدفاتر وحساب الزنجير ، كما كان يُسمّى يومئذٍ ، وهو المعروف بحساب الدوبيا ، ولم يكن يعرفه الا قليلون في سوريا ، ولو لم يكن لهُ عليه سوى هذا الفضل لكفى بهِ حقاً يوجب على ذمته ذكره في كل يوم ، ولله درّ القائل

اقدّم استاذي على فضل والدي وان كان لي من والدي الفخرُ والشرفْ

فذاك مربي الروح والروحُ جوهرٌ وهذا مربي الجسم والجسم من خزَفْ

غير انه مع عكوفهِ على التجارة ، لم يهمل المطالعة ولاسيما دراسة النحو والصرف والفرنسوية ، ثم درس ليلاً علم العروض على الخوري جرجس دلاّله ، حتى شهد له ببلوغهِ منه الغاية ، وكان استاذه المذكور اماماً في النحو والصرف والعروض كما سبق في ترجمته .

شبابهُ والرحلة الاولى الى اوروبا

فشا الهواء الاصفر في حلب سنة ١٨٧٥ فرحل عنها المترجم عليه مع اخويه وبعض اقاربهم الى مدينة مرسيليا ، وفيها بيوت عمّيه وغيرهم من آل الحمصي الذين قطنوا بها منذ سنة ١٨١٨ كما سبق القول ، فظل فيها سنةً استفاد بها سهولة التكلم بالفرنسوية ، حتى كان يظنه الفرنسويون فرنسياً بحتاً ، واخذ نحو خمسين درساً في الفلسفة على استاذ يُسمى الاستاذ جاكان،

وزار باريس ، ثم رجع الى بيتهِ في حلب واقام بها سنة يتعاطى اعماله التجارية والصيرفة ، ولا يلهو عن الدرس والمطالعة في سائر ساعات فراغهِ .

الرحلة الثانية الى باريس

ولما أُعلن افتتاح المعرض العام في باريس سنة ١٨٧٨ لج بهِ داعي الشوق الى مشاهدة بدائعه وغرائبه فقصد مرسيليا ثانيةً واقام بها نحو شهرين ثم قصد جنة الدنيا باريس ، وظل بها شهرين تمتع بهما من زيارة المعرض نحو ثلاثين مرةً ، وكان يصحبه في اكثرها خالهُ المأسوف عليه جبرانيل الدلال اذ كان يعرف باريس كعالِم من ابنائها ، وقد استفاد المترجم عليهِ من سعة معارفه ودقة انتقادهِ ، وقد كان خالهُ المشار اليه واسطة التعارف بينهُ وبين العلاّمة الفاضل عبدالله المراش في باريس نفسها .

ثم رجع الى حلب يمارس فيها اعمالهُ في التجارة والصيرفة ، وذلك بعد ان قضى سنة كاملة في فرنسا ، وبعد عودته تزوج ، وكان اشد عكوفاً على نظم الشعر والمطالعة في كتب العلوم ولاسيما في كتب اللغة لشغفهِ بها وميلهِ اليها بسائق الطبع ، وفي كتب الانتقاد الفرنسوية .

وزار بيروت سنة ١٨٨٢ واجتمع بعددٍ غفير من علمائها وكتّابها في رأسهم الشيخ ابرهيم اليازجي والدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر واديب اسحق والشيخ اسكندر العازار وحسن افندي بيهم والشيخ يوسف الاسير وداوُد نخول وغيرهم من فضلاء العصر وكواكب بيروت ، واستمرت بينهُ وبين كثير منهم المراسلة والصداقة الى اليوم ، ومنذ يومئذٍ عُقدت الصداقة

الخالصة بينه وبين علاّمة العصر الامام الشيخ ابرهيم اليازجي الطيب الذكر والاثر ، وامتدت حتى وفاة الامام لم يشبها يوماً كدرٌ ، وكانت بينهما مدائح ومراسلات استمرت نحو ربع قرن ، وقد نشر المترجم عليه اكثر رسائل الشيخ بعد وفاتهِ في مجلة النفائس المصرية التي كانت تطبع في القدس .

وعقب عودته من بيروت بعث باول قصيدة الى صديقهِ الشيخ ابرهيم اليازجي سنة ١٨٨٣ ولا بدّ من نشر بعضها فانها من شعر الشباب ، ولا شيء اعزّ على المرء من تذكار الشباب وايامه ، ويقظاته واحلامه، والصبي ومراتع ارامه ، قال

يا رسوليَّ أذهبا فابلغاها	انني اليومَ قد سلوتُ هواها
جهلت قدر صبّها ثم جارت	واستطالت بحكمها وقضاها
طال منها البعادفاعتلّ جسمي	ثمّ علّتُ ناظري بلقاها
زاد منها النفارُ لما التقينا	فتمنّيتُ لو اطالت نواها

ومنها

لم أطع للسلوّ حكماً ولكن	ساقني ظلمها ونقص وفاها
كنت عبداً لما ارى الذلّ عزّاً	في خضوعي وطاعتي لمُلاها
جفتني وانني خيرُ حرّ	من كرام بالمجد تحمي حماها
كم ليالٍ قضيتها وأليم الـ	سهدِ قد ناب عن لذيذ كراها

ومنها

ما اجتمعنا للعتب الا وكان الـ	دَلُّ منها يزيد نفسي بلاها
ما عليها لو علّلتني بوصلٍ	وشفت مهجتي برشف لماها
وآضياعَ الزمانِ في حبّ خودٍ	احرقت قلب صبّها بقلاها

ومنها

لن ترى عمرَها محبّاً نظيري — وانا ليس لي حبيبٌ سواها
ولئن قلت قد سلوتُ هواها — فانا والهوى عشيق هواها
قد سلوتُ النفارَ منها ولكن — لست اسلو جمالها وبهاها
فتنة العالمين جلَّ الذي من — جوهر اللطف والجمال براها

ومنها في التخلص الى المدح

حرتُ في عشقها كما حرت في وصـ — ـف أبن ناصيف مَن بهِ اتباهى
الامـام الخطير ذو الفضل ابرا — هيمُ مَن قد سما مقاماً وجاها
واحدُ العصر ناصر العلم قامو — سُ القوافي ومَن يشدُّ لواها
حازَ بالعقل فَضلَ شيخٍ جليل — وارتدى اللطف حلّةً واقتناها

ومنها

لم أردْ مدح ما بهِ من صفاتٍ — فوق قدرِ الزمان شرحُ عُلاها
انما عتبهُ لقد كان قصدي — وعن العتب ضلَّ عقلي وتاها

ومنها

انَّ ببيروت روضة العلم لكن — انت بدرٌ حللت منها سماها

ومنها

فلئن ضمَّ شملنا الدهر يوماً — سيطول العتاب معكم شفاها
ها كها كاعباً بمدحك تاهت — ومن العتب فاح عرف شذاها
والرضى مهرُها فان جدتَ بالبشـ — ـرى والا فيا لطول شقاها

فاجابهُ عليها بقصيدة طويلة ايضاً قال في مطلعها

عرّجا في ربوعهـا وسلاها — كيف تسلو متيَّماً ما سلاها

واعطفاها بوصف سقمي وما بي　من شجون الهوى ولا تعتباها
واذكرا ودي القديم وما لم　تنسه من حنينها وجواها
رب دمع اسلته بعد هجر　مزجته بمثله عيناها
وليال تضاحك الانس فيها　اشفقت من زوالها فبكاها
يعلم الله ما بقلبي وما تجـ　ـهل ما فيه ازة في حماها

ومنها

والليالي عدوها كل حر　ناصبته الطغام تحت لواها
والعداوات كالمودات في النا　س تساوي الاقدار من مقتضاها

ومنها

واذا الحلم جر حرب سفاه　فن الرأي ان يكون سفاها

ومنها

وخصال الفتى تنم عليه　مثل ريح عرفتها من شذاها
جلدة اللؤم لا تحول وان أبـ　ـرز من بزة العلى مصطفاها
واخو الغدر لا يصافى وما لا　وم من ذمة تشد عراها
والتجاريب موبقات ولكن　يستفيد الحكيم من عقباها
وبنفسي وان غلت نفس حر　لست بالنفس خاسراً في فداها
ذي وداد كأنه الفضة البيـ　ـضاء زادت يد الزمان جلاها
وذمام كأنه الصخرة الصمـ　ـاء لاقت من الخطوب مياها
كامل الفضل في اقتبال شباب　هان فيه على الشيوخ نهاها
اكسبته الأيام حلماً لو ارتد　يها لم نشك جهل قضاها

ومنها

مَن لشمس الضحى بنور هلالٍ   من سماء الشهباء قد حيّاها
تلك شرقٌ للشرق قد كاثرتهُ   انجماً غالب النجومَ سناها

ومنها

وسقى الله ارض حمص وحيّت   نفحات الرضى خصيب ثراها
هيَ فردوسيَ القديم ومنها   ثمرات الحياة كان جناها
نفحتني من سرّها نفحةٌ حيـ   ـن سرَت هزّ غصن وجدي سُراها
من حبيبٍ تروي الصباعن معانيـ   ـهِ فتحيي نفوسنا ريّاها

ومنها

قد اطاعتهُ شاردات القوافي   راشدات فانطقت من عصاها
طال عهدي بهـا الى ان جفتهـا   همّةٌ قصّرت بها في مداها

وختامها

والتداني حسبي والدهر فينا   بدوات تقول ربّ عساها

وكانت للمترجم عليه ملازمة لخاله الشاعر الاديب جبرائيل الدلال المتقدم الذكر وذلك بعد رجوعهِ الى حلب ، وقد جمع بينهما الادب ، بعد ما جمع النسب ، وكانت لهما مجالس انتظمت عقودها بدرور الفضل ، واجتابت قرائح فرسانها الوعر والسهل ، ثم ما ابث الدهر حتى عبس كعادته وتنكّر ، وشتّت ذلك الشمل الجميع فاحزن وكدّر .

الرحلة الثالثة الى فرنسا

ورد على المترجم عليهِ من مرسيليا نعيّ شقيقه العزيز اسكندر في آخر

صيف سنة ١٨٩٢ قضى في الثالثة والثلاثين من سنّهِ ، فكبر عليهِ المصاب وعز الصبر ، وكان من اجمل الناس وجهاً ، والطفهم اخلاقاً ، واحلاهم صوتاً وعشرةً ، ذكياً نبيهاً . واذ كان اقيم وصياً شرعياً على اولاده القاصرين ، رحل الى مرسيليا لتصفية محلهِ التجاري فيها ، وعقب وصولهِ اليها بايام ، وافاهُ نعيّ الخال الدلاّل ، فاعظم فيه الخطب ولاسيما ان الجرح بفقد الشقيق كان فوق ان يندمل ببعض شهور ، فكأنما كان للدهر عنده ديون اسلفها ، فارتد على عادتهِ يتقاضى فيها ، حاسباً انهُ اسرف عنده فيها فرثاه بقصيدة في مرسيليا قال في مطلعها

ضاق الكلام فلم اجدْ لرثائهِ غيرَ الدموع تفيهِ حقّ ولائهِ
ما كنتُ احسَبُ عندما ودّعتهُ أنْ ذاك آخر موقفٍ للقائهِ
يا كوكباً قد غاب عنا نورهُ فاطال ليل الحزن في شهبائهِ

وهي مطبوعة في آخر ترجمته الآتي ذكرها .

ولما عاد الى حلب سنة ١٨٩٣ سعى في بناء سياج من الحجر على مدافن المسيحيين في هذه المدينة ، وكانت عرضةً للهوان منذ القدم ، فاكتتب هو اولاً بشيء من المال ، ثم أتسى بهِ افراد اسرته وذوو قرباه وغيرهم من اهل المروءة ، ثم طاف على اهل السعة من النصارى لجمع قسماً باشر بهِ العمل ، ولما لم يفِ المجموع بالحاجة ، طاف ثانيةً وثالثةً الى ان اكمل العمل بمدة سنتين وبضعة اشهر ، ونقش فوق ابواب المدافن الابيات الآتية :

على الباب الاول

مثلكم فوق هذهِ الارض كنا امسِ واليومَ قدطوتنا القبورُ
فاخفضوا الطرف ان نظرتم الينا فالى هاهنا تصيرُ الامورُ

وعلى الباب الثاني

خفّف الوطء ان مررت علينا　　واخفض الطرف ان نظرت الينا
هكذا تنتهي حياة البرايا　　وسيجرون مثلما قد جرينا

وعلى الباب الثالث

قد سعينا وراء مجد وفخرٍ　　وبنينا منازلاً وقصورا
وتركنا جميع ذاك بحكم الله　　ِ واليومَ قد سكنّا القبورا

وعلى الباب الرابع

كلُّ مَن فوق هذهِ الارض يفنى　　وسيبقى الالهُ ربُّ الجلالِ
ليس للمرء بعد دنياهُ الاّ　　ما اتاهُ من صالح الاعمالِ

ولما تمّ السياج المذكور كما سبق القول، رأى نفرٌ من ذوي الفضل والوجاهة ان يهدوا الى المترجَم عليه هديةً، تكون اثراً باقياً في بيتهِ لعرفانهم وتقديرهم خدمتَهُ هذه الوطنية، فجمعوا من اكثر المكتتبين بسياج المدافن شيئاً من المال واجمعوا على صنع تمثال الالهة مينرفا (الهةُ الحكمة) من خالص الفضة، وكتبوا الى صديق لهم في باريس، ان يختار نقاشاً بارعاً يقوم بالعمل المطلوب، على ان يكون في احدى يدي التمثال اكليل يمثّل اكليلاً من الغار، وفي الثانية قلم مذهب وان ينتصب التمثال على قاعدة من المرمر، يُحفر في وجهها باحرف ذهبية، البيتان الاتيان من نظم صديقهِ الحميم علامة العصر الشيخ ابرهيم اليازجي :

تذكارُ شكرٍ لقسطنطينَ نرفعهُ　　لما اتى من جميل الصنع في حلبِ
لمّا تبدّت لنا الفاظهُ درراً　　صغنا لها قلماً من خالص الذهبِ

وتحت القاعدة المذكورة لوحٌ من الصفر منقوش فيه الابيات التالية :

إلاهةُ الحكمةِ اهدت الى ... شاعرنا الفرد الحكيم الهُمام
الشهمِ قسطنطين ربِّ النُهى ... من آل حمصيٍ سليل الكرام
يراعَ تبرٍ مخلداً حمدَهُ ... لصنعه المأثور بين الانام
يبقي لهُ الذكرَ الجميل الذي ... تأريخهُ طابَ بخير الختام

١٨٩٦

ولما وصلهم التمثال المذكور ، ارادوا تقديمَهُ الى المُهدى اليهِ في حفلةٍ يقومون بها ، فتوسل اليهم ان يقصروا ذلك على بعض خاصّ خلاّنهِ واهلهِ ، وهكذا تم قبول الهدية ، بعد ان شكر للذين قاموا بها عنايتهم والطافهم .

وفي سنة ١٨٩٦ انتخِب عضواً لمجلس ادارة ولاية حلب ، لكنهُ راى ان يستعفي من العضوية المذكورة لوفرة اعماله التجارية ، فلم يرضَ بذلك والي الولاية يومئذٍ ، وهو الوزير الكبير رائف باشا .

ثم اقام دعوى علي البنك (المصرف) العثماني السلطاني لاختلاف حسابيٍ فاستأنف المصرف الحكم الى القسطنطينية ، ورأى المترجم عليه ان يتتبع الدعوى بنفسهِ ، لما كان للمصرف المذكور من النفاذ والرعاية هنالك ، واذ علم بقصدهِ بعض الوزراء والكبراء من ذوي الفضل الذين اقاموا يومئذٍ بحلب بامر السلطان عبد الحميد مُبعَدين ، وكان بين المترجَم عليه وبينهم صداقة احكم عقدها العلم والادب ، بعثوا اليه ببعض كتب لاصحابهم من الاكابر في القسطنطينية ، وبينها كتاب الى السيد ابي الهدى الصيادي نديم السلطان ومستشاره ، وعَلَم الاعلام في الدولة العثمانيه وقتئذٍ ، وكان المترجَم

عليه قد سبق لهُ التعارف به يوم أُبعد الي حلب بأمر السلطان نفسه ، فردَّ الكتاب لمرسلهِ شاكراً

الرحلة الى القسطنطينية

سار عن حلب في الخامس والعشرين من شهر اب سنة ١٨٩٨ وقصد الاسكندرونة ، ومنها ركب الباخرة الفرنسوية الى القسطنطينية فظلت في طريقها سبعة ايام على عادتها من الرسوّ في بيروت وغيرها من مدن الساحل ، ولما دخلت بحر الدردنيل هاج البحر فماجت السفينة واصاب الدوار اكثر المسافرين ، فقال مداعباً بعضهم

رقصتْ اذ جرتْ بنا الدردنيلا   انما كان رقصُها (كدريلا)
سجدَ البعضُ صامتاً والناسُ   رتّلوا كفر غيظهم ترتيلا

ولما جازت السفينة الدردنيل وعبرت مرمرا وبلغت الخليج وهو مينا القسطنطينية ، وقف المترجَم عليه اذ ذاك ، وقد راعهُ حسن منظر الخليج وما يكتنفهُ من جبال تسلّقتْ عليها القصور الشاهقة فكأنها نبتت مع اشجارها ، وقد تسلسلت من اعاليها جداول المياه كذائب اللجين يتكسر على احجارها ، وخضرة رياضها ، كنضرة غياضها ، لا تمل الاعين من النظر الى محاسنهما ، ولا تشبع النفس من التملية بما بينهما

ثم نزل وكان بعض الاصحاب في انتظارهِ على المرفأ ، فأحسنوا التسليم ورحبّوا ، وكانوا استأجروا لهُ غرفةً في فندق مشهور ، فساروا جميعاً اليهِ ثم ودّعوهُ وانصرفوا ، وبات تلك الليلة في اتم الراحة ، ولما نهض في الصباح رأى ان لا يتباطأ عن زيارة السيد ابي الهدى ، لانهُ كان يعلم ان اخبار

القادمين الى القسطنطينية من ابناء العرب ولاسيما من حلب ، كانت تصل اليه سريعاً ، فاخذ عربةً وسار الى بشكطاش حيث جوسق السيد ، ولما بلغهُ دفع الى الحاجب بطاقة باسمه ليستأذن لهُ في الدخول عليه ، وكان في غرفة الانتظار عدد كبير من الناس ينتظرون نوبة المقابلة ، وجلّهم من ابناء العرب من شتّى الامصار . فلم يبطئ الحاجب ان عاد وقال بصوت عالٍ شيخ افندي ينتظركم ، فنهض المترجَم عليه وسار وراء الحاجب الى بهو داخل بهوٍ ، واذ وقعت عينا السيد عليه ، قام للملتقى ، وهشّ للقدوم ، واجمل الترحيب والتأهيل وذكر الاجتماع بهِ قبل ذلك بسنين في حلب ، ثم اخذا باطراف الاحاديث ، وكان بيد المترجَم عليه درج فيه قصيدة نظمها على ظهر السفينة واعدّها لهذا اليوم ، فقال لهُ السيد ، ومكانهُ من النباهة والذكاء فوق الوصف ، وما تلك بيمينك يا موسى ، فاجابه أحللْ عقدةً من لساني يفقهوا قولي ، فاستحسن جداً بداهة الجواب ، ثم انشد الناظم القصيدة الاتية :

زعموا لا تليقُ دعوى الصبابَهْ ... بعدما ودّعَ المحبُّ شبابَهْ
جهلوا من حقيقة العشق سرّاً ... يُبطل الزعم لو اماطوا حجابَـه
ذاك ان الهوى يُؤثّر في النفـ ... ـسِ بقدر العواطف الجذّابَـهْ
والفتى الغرُّ ليس يُدرك منهـا ... مثل مَن راضهُ الهوى فاشابَهْ
كلُّ معنىً من المليحة يبـدو ... بعيانٍ لاعيني مستطابَـهْ
واذا غاب شخصها عن عيـاني ... مثّلتها الخواطرُ النقّابَـهْ

ومنها

ما لقلبي اذا ذكرت هواها ... يتصابى ويستلذُّ عذابَهْ
أيرجّي عوداً لايام انسٍ ... ام تُراها تملةَ كذّابَـهْ

كلُّ حرٍّ يرى التجلّد الاّ في الهوى واجباً فيقرع بابَه
يَمّمي يا سفينة الخير خير الـ ـناس وجهاً وعنصراً ومهابَه
وانزلي يا جميع امالِيَ البيـ ـض على جوسق العُلى والنجابَه

ومنها

ليس ألاّكَ يا سميرَ المعالي كاشفَ الكرب نستجير جنابَه
قد سلكنا بيلانَ والليلُ داجٍ وقطعنا شعابَهُ وعقابَه
وركبنا البحار سعياً لبحرٍ فاز بالدرّ من اراد طلابَه
وهجرنا الشهباء نلتمسُ الانـ ـصاف في جانبٍ عزيز الرحابَه
وبعهد الشريف بدر الهدى قد عاذ خل يرى الوفاء نصابَه
سيّدٌ يحسب الصنيعةَ ديناً ويرى الودَّ ذمّةً وقرابَه

وختامها

حسبُ مستعصمٍ بودّكَ يا مو لايَ أنْ لا يرى العُداة اكتئابَه

ولما انتهى من انشاده ' تناول منه القصيدة واطال الثناء والشكر ' ثم قال ومَن الخصم ' فاجابه انهُ المصرف السلطاني العثماني ' فقال لا تبال باحدٍ وكن منشرح الصدر ' ولا تكن زيارتكم لماما ' فاطلق منهُ لسان الحمد ثم انصرف من تلك الحضرة ' وظل يتردد اليها الحين بعد الحين ' ثم بُشّر بالانعام عليهِ بالوسام العثماني الثالث مع لقب بك ' وظل في القسطنطينية ستة شهورٍ صالحه في ختامها المصرَف المذكور ' على مال دفعه اليه ' وفي تلك المدة كتب رسالة وصف بها القسطنطينية وسماها اريج الخليج ، وقد نُشرت تباعاً في مجلة الضياء لسنتها الاولى ' ثم قفل الى الوطن بعد ان ودّع السيد وشكر لهُ بيض اياديه وحسن ملتقاه ووداعه .

الرحلة الى القاهرة

ولم تنتهِ سنة ١٩٠٥ حتى كان ازمع على السفر الى مصر القاهرة وكانت لهُ دعوى على كريدي ليونه المصرف المشهور في الاسكندرية ، فقصدها اولاً وبعد ان اقام محامياً عنهُ للمطالبة والمحاكمة ، ركب القطار الى مصر ، وكان ينتظرهُ في محط القطار ،صديقهُ الحميم والحبيب القديم حجة اللغة الشيخ ابرهيم اليازجي مع جماعة من الاصحاب ، فطال التسليم والترحيب ثم انقلبوا الى فندق عدَن ، اذ كان طلب اليهم ان يتخذوا لهُ غرفةً فيهِ ، وهناك كان لهم مجلس من مواسم العمر ، ثم ودعوه وانصرفوا على ان يزور المترجَم عليه ثاني يوم صديقه الشيخ ، ولما توجه اليه وجد الطرق مستوحلة اذ هطـل في الليل مطر غزير ، على ندورة المطر في مصر فقال بديهاً

قصدنا الى مصرٍ لشهرة دفئها ... فِراراً من البرْد المبرّح في حلب
فامسيتُ والامطار ليس تفوتني ... واصبحتُ والاوحال فيها الى الركب

وظل في مصر الى اول الصيف من سنة ١٩٠٦ وعرف فيها كثيرين من اعلامها وشعرآئها وكتّابها كاحمد زكي باشا سكرتير مجلس النظار يومئذ وسليمان افندي البستاني وجرجي زيدان والشيخ علي يوسف وداود بك بركات واسكندر شاهين وادوارد مرقص والدكتور خليل سعاده وشوقي بك وحافظ ابرهيم وخليل المطران وامام العبد ورفيق بك العظم وغيرهم من بدور الفضل ، وقد توثقت المودة بينهُ وبين كثيرين منهم الى اليوم ، وفي خريف تلك السنة عاد اليها وباشر طبع كتابهِ منهل الورّاد وفي آخر السنة المذكورة ، أُصيب بفقد الامام اليازجي صديقهِ القديم بل اوفى الاحباب والخلان ، فأبّنهُ على

ضريحه ، وفي غير محفل من المحافل التي قامت بتأبينهِ وتكريم ذكره في مصر والاسكندرية وطنطا ، وقد نذكر شيئاً منها في محله من آخر هذه الترجمة ، ثم انه اكمل طبع كتابه وعاد الى الوطن في صيف سنة ١٩٠٧

مدة الانقلاب العثماني

ولما حصل الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ ، كان المسيحيّ الوحيد الذي دعي الى الاجتماع الذي عقدهُ بحلب ، اعضاء جمعية الاتحاد والترقي المكتتمون قبل ذلك اليوم ، وقام معهم بحفلة مهرجان الحرية ، وطلبوا اليهِ ان يكون خطيب الجمعية بالعربية ، فكان اوّل مَن لفظ الحرية بخطبة علَنية في حلب لعهد السلطان عبد الحميد ، وتوالت الحفلات والاجتماعات و كثرت الاندية (الكلوبات) وكان يُدعى الى الخطابة فيها في شتى الموضوعات ، من سياسية واخلاقية وعلمية وادبية ، حتى اعتاد الخطابة بداهةً ، ثم الحّ عليه اصحابه ان يترشح للنيابة عن حلب في المجلس النيابي الذي صدر الامر بهِ ، فلم يربح اكثرية الاصوات في الانتخاب لمزاحمة طلاب الوظائف ، ولرغبة الحكومة التركية يومئذٍ في تقليل عدد النواب من ابناء العرب ، فكان النائب المسيحي عن ولاية حلب ارمنياً من عينتاب ،

ثم انتُخب عضواً لمجلس الادارة ثانيةً ، ورام الاستعفاء ليتفرغ للكتابة والتأليف فلم يرضَ بذلك والي الولاية يومئذٍ فخري باشا ، وكانت بينهما مودّةٌ ، ثم عيّن ايضاً عضواً في مجلس المعارف برئاسة نادر بك من مشاهير علماء الترك ، وعُيّن عضواً ورئيساً لكثير من اللجان في تلك المدة ، اذ أعلنت الخدمة العسكرية على العموم ، وقامت مشاكل كثيرة في الدولة كما

هو معلوم ، ثم عين معاوناً لرئيس المجلس البلدي على عهد الوالي حسين كاظم بك ، ثم عرض لهُ ما دعاهُ الى السفر قصد مدينة باريس

الرحلة الرابعة الى فرنسا

سار عن حلب في السابع والعشرين من كانون الاول للسنة ١٩١٢ ونزل بباريس لايام مضت من اول السنة ١٩١٣ وظل بها خمسة شهور ، جدّد فيها عهدهُ بقصورها ومعاهدها ، وملاعبها ومعابدها ، وجنّاتها وملاهيها ، ومشهورات ضواحيها ، كفونتينيبلو وسان كلو ولاسيا فرساي ، اذ تذكر زيارة قصرها الفخيم ، وجنانها النعيم فقال على البديهة :

سرّحتُ في روض فرساي النواظرَ والا　　أمالُ تنشد يا أيامنا عودي
هذي الرياضُ سقاها الغيثُ لابرحت　　مخضّرةَ العيشِ والاوراقِ والعودِ

ونظم مدة اقامتهِ بباريس قصائد ومقاطيع كثيرة نُشِر بعضها في مجلة النفائس المصريّة السابقة الذكر ، ثم زار لندن وهي المرة الاولى التي شاهد فيها تلك المدينة العظيمة ، لكنه رآها في الحسن دون باريس بمراحل ، ثم عاد الى حلب .

وفي السنة الثانية بعد رجوعهِ أُعلِنت الحرب الهائلة ، فاشتغل بالكتابة ودوّن شعرهُ وكان اكثرهُ مبعثراً في مطاوي الاوراق ، ولما هبط جمال باشا على حلب رأى ان يكتتم فلا يزوره ، الا ان بعض اصدقآئه المخلصين اشاروا عليهِ بزيارته ، فالرجل داهية ومثله لا يُكتتَم امره ، بل نصحوا لهُ ان يمدحهُ بقصيدة ، وكان فيمن نصحهَ شكري بك العسلي المأسوف على شبابه ، وهو ممن صلبهُ الطاغيةُ المذكور ، فانشده على المائدة التي قام بها لهُ المجلس البلدي

مقصورةً قال في مطلعها

أجمالَ الدولةِ والدنيا لقدومك قد مشت العليا
لقدومكَ شهبآء الامصا رِ بدت كالشهب سناً وعلا

ومنها

واذا ما اظلمَ فينا الخط بُ فرأيُك من نورٍ اعلى
والعفوُ عن الجاني بِرٌ أوَ ليس الاقربَ للتقوى
قد خاب المفسدُ والواشي والعدلُ لديكَ غدا امضى
واذا استخفى ذو الفضل فليـ سَ على تقديركَ ما يخفى
والكلِ عندكَ منزلـةٌ ما مَن يرجوكَ كمن يخشى
أنظرْ ببصيرتكَ القـا دةِ واحكم بالرأيِ الاعلى

ولم يزل يداريهِ مخافة كيدهِ وبطشهِ حتى غادر سوريا .

ولما ورد الخبر بسير جيوش الحلفآء على دمشق ، جمع والي حلب يومئذٍ مصطفى عبد الخالق بك ، عموم الرؤساء الروحانيين وبعضاً من اعيان المدينة ، واخبرهم بعزم الحكومة التركية على التزحزح عن حلب مدةً اذا اقترب العدوّ منها ، ولذلك فهو ينصح لهم ان ينتخبوا من بينهم عشرة اشخاص ليقوموا بادارة المصالح وحفظ الامن والراحة في المدينـة ، حذراً من قيام غوغآء الناس الى السلب والنهب ، فكان المترجَم عليه في عداد العشـرة المختارين ، ولما ترحزحت الحكومة التركية ، نهض باعباء الخدمة الوطنية المذكورة مع رفقآئه المحترمين .

ثم لما تألفت الحكومة العربية في دمشق اختارتهُ عضواً في مجلس الشورى فذهب الى الشام في آخر شهر شباط سنة ١٩١٩ وظل هناك الى اول

حزيران من السنة المذكورة اذ عاد الى حلب باذن ، ورجع في آخر الشهر المذكور ، وفي تلك السنة انتُخب عضواً في المجمع العلمي العربي بالشام ، وظلّ في وظيفته بمجلس الشورى الى كانون الاول ، ويومئذ صدر الامر الى اعضاء المجلس المذكور برخصة ثلاثة شهور ، فقصد مصر وقضى تلك المدة فيها ، ثم التأم المجلس في اذار من السنة ١٩٢٠ فرجع ولبث بالشام الى آخر تلك السنة ، ثم استعفى من وظيفته في المجلس عندما استقلت حلب عن الشام بمواطأة بعض اعداء الوطنية من عبّاد منافعهم .

ولم تأتِ السنة ١٩٢٣ الاّ وتضيّقتهُ الهموم ، واخذ في شعاب الغموم لعلّةٍ اصابت الغصن النضير ، والظبي الغرير الحبيب العزيز هنري احد حفدتهِ ومالك مهجته ، فاصلت ضلوعه واشجتهُ بغصّته ، وكان يرى بهجة الحياة برآه وانوار الشمس بمحيّاه ، ولفتة الغزال بمقلته ، وجمال البدر في الليلة الظلماء بطلعته ، وكان واسفاه عليه عاشقَ العلم ، وآيةً من اعجب آيات الذكاء والفهم ، فمكث يمرّضهُ اربعة شهور لم يفارقه ليلاً ولا نهارا ، ولم تُطعم جفونه الغمض الا غِرارا ، حتى اذا جاء التاسع والعشرون من تموز ، انطفأ ذلك النور الملكي بعد الغروب في بلدة بحمدون من لبنان ، فنزلت بالمترجم عليه قاصمة الظهر ، وتقوّضت منهُ دعائم الصبر ، واظلمت انوار الارض في عينيه ، وهانت الدنيا وما فيها لديه ، واخلد الى الشجون والجزع ، وكادت ترهق نفسهُ من الم الوحشة والهلع .

ثم شفّهُ المرض وانهك جسمهُ الغم بعد سنةٍ من هذا المصاب حتى اصبح كالخلال ، ولم يرَ دواء لتلطيف احزانه والصبر ، غير الكتابة والتأليف ، ولاسيما ان الحبيب العزيز كان يرجوهُ دائماً ان يؤلف وينشر مؤلفاته في

المجلات والجرائد ، فرأى ان لا يتوقف يوماً عن القيام بما كان يطلبه منه ، ورأى ان يطبع هذا الكتاب تذكاراً خالداً لشخصه العزيز واسمه المحبوب وقال يرثيه

كيف امسيتَ يا حبيبي بعدي أسريراً حللتَ ام عرشَ مجدِ
ام جناناً سكنتَ ام كنتَ نوراً احرقَ الزيتَ دون قيدٍ وحدّ
يا ملاكاً قد صيغ من كلّ حسنٍ لبسَ الكونُ منه اجملَ بُردِ
كنتَ للعين قرّةً وسروراً لفؤادي ونجمَ انسي وسعدي
يا رشيداً على حداثة سنٍّ ضاع مني من بعد بُعدك رشدي
اين ذاك الجمال والحسن واللط ف وما فيك من ذكاءٍ ونقدِ
كان بيتي من نور وجهك شمساً منذُ ما بنت اظلم الكونُ عندي
كنتَ لي بهجةَ الحياة ورغد الـ عيش ان غبت لم تغب دون وعدِ
يا أنيسي ويا نديمي ويا ما لكَ روحي خلفتني اليوم وحدي
لي الى وجهك البديع اشتياقٌ ونواحٌ اعيدُ منهُ وابدي
كلما رمت ان اصبّرَ نفسي عنك لا القى غيرَ شوقٍ ووجدِ
انتَ في مقلتي مقيمٌ فما أبـ صرُ الاّ ونور وجهك قصدي
كلُّ شيءٍ عندي بهِ لك تذكا رٌ مقيمٌ يطيل نوحي وسهدي
صوتُك العذب في فؤادي وفي أذ ني ينادي لا تبعد اليوم جدّي
ليتني متُّ قبل يومك بل يا ليتني قد سكنتُ معك بلحدِ
ايُّ قبرٍ سوى فؤادي جديرٌ بكَ بل انت فيهِ حيٌّ كمهدي
ايُّ غيثٍ يروي ترابك الا غيث دمع يصبّهُ دمُ كبدي
كيف احيا وانت لست بقربي بعدما خلتُ انني ميتَ عمدِ

بل لقد بتُّ ارتجي العيش كيما ببكائي عليك يزدادُ وقدي
وأناجيكَ موقناً كلَّ نجوى بعد موتي تملّة ليس تجدي
بل لعلَّ المماتَ يجمع شملي بك بعد الشتاتِ في دارِ خُلدِ

سحنة المترجم عليه وملامحه

ابيض اللون او حنطيّهُ قليلاً ، رقيق البشرة ، مسنون الوجه ، اسود الشعر وقد خالطه الشيب كثيراً في هاتين السنتين الاخيرتين ' اسود العينين اسيلهما ' قصير الجبهة ' سبط القوام ' مخروط اللحية ' سبط الانامل ، صغير الاذنين ، مليح القسمة ، نحيل الظل ، عصبي المزاج ' كثير الحركة ، يملّ السكون .

ولهُ شغف بالموسيقى والغناء والهندسة والتصوير وسائر الصناعات الجميلة ، وهو عارف بالالعاب العقلية من الشطرنج والورق والنرد وغيرها ، ولهُ معرفة تامة بفن الطباخة ' حسن الخط '

صفاتُــهُ

وصف اخلاقه وصفاته بقلمه امر يعتذر عن القيام به ، وهو مولع بالاتقان والتدقيق ' بغيض اليهِ المتصنع والمتزيي بزيّ سواه ، يميل جداً الى الانتقاد .

مؤلَّفاتهُ

السحر الحلال ' في شعر الدلاّل وهو ترجمة خاله المأسوف عليه جبرائيل الدلال ، طبع مصر ، وكتاب منهل الوراد في علم الانتقاد في مجلدين طبع

مصر سنة ١٩٠٧ وادباء حلب ذوو الاثر ، في القرن التاسع عشر طبع حلب سنة ١٩٢٥ . وديوان شعر كبير لم يطبع، ومجموع رسائل ومحاضرات ومقالات في موضوعات مختلفة غير مطبوع .

ولهُ فصول ومقالات في الادب واللغة والشعر والاخلاق والفلسفة والتأريخ والانتقاد والسياسة وغيرها نشرت في مجلات البيان ، والضياء ، وانيس الجليس ، وفتاة الشرق ، والنفائس المصرية ، والآثار ، والمباحث ، والمنهل ، والحسناء ، والمقتبس ، والنفائس ، وميترفا . وفي كثير من الصحف منها المصباح ، والنجاح ، والتقدم ، والمحروسة ، ومصر ، والعصر الجديد والاهرام ، والمقطم ، وحمص ، والحرية ، والشهباء ، وصدى الشهباء ، والمهذب والاخاء ، وسورية الجديدة ، والتقدم الحلبية ، وسورية الشمالية ، والزمان .

وهاك شيئاً من نثره ونظمه :

قال في مقدمة ديوانه في وصف الشعر :

إخلع نعالَكَ يا كليمُ فانتَ في ارضٍ مقدسةٍ بنفسٍ والِهَهْ
واذا سمعتَ الشعرَ فانزع سترَ رأسِكَ خاشعاً فالشعرُ نطقُ الالِهَهْ

الشعر هو مرآة نفوس الشعراء ، ومتجلّى تخيّلاتهم على وجه الغبراء ، ومسرح افكارهم وسرائرهم ، ومعرض تصوّراتهم وضمائرهم .

وهو سمير الاديب والخليّ ، ومؤنس وحشة الغريب والشجيّ ، ونديم العظماء ، وخليل الحكماء ، وغبطة العشاق ، وعُلالة المشتاق ، والمؤرّخ والراوي ، والناشرُ والطاوي ، وابهى حُليّ الحسان ، واشرف مزايا اللسان .

ومنها

بل هو رائدُ القطيعة والعداوة بين القلوب ، ومثير زعازع الفتن والحروب

بين الشعوب ، ببيت منه تُهتك أستار وتُهدم بيوت وقصور ، وتُهدر دماء وتطيش حلوم وتوغر صدور ، يضرم في النفوس نار حب الوطن وما ادراك ما هيه ، فاذا هي في سبيله متمادية متفانيه ، يتسابق شجاعها والجبان الى مصارع الهاويه .

لا بل هو المزهر الذي تختلج لنغماته حبات القلوب ، والنديم الساحر الذي يُلهي المحب عن المحبوب ، والمرقص المطرب ، والواصف المعجب المغرب ، يحلو تكراره في الافواه ، وان ملّ تكرار سواه .

وهو الضيف قِراه الاسماع ، ومنزله الضمائر والقلوب ، خفيف الظل خفيف المتاع ، لا يعتريه هرم ولغوب ، ولا ينال معونة كلال او نضوب ، ان أنشد تودّ الثقل لو انها مسامع ، وتتمنى القلوب لو انها لاسراب ظبياته مراتع ، ولنجومه وبدوره مواقع ومطالع .

ومنها

بل هو سرّ من اسرار الالفاظ لا يلج في الاسماع الا ويملك من الافئدة العنان ، فيصرفها كيف شاء هدى او ضلالاً فهو لا ريب فيه رب البيان .

ومنها

بل هو مظهر من مظاهر الجاذبية ، يتجلى في بعض النفوس البشرية لقابلية فيها او خاصية .

ومنها

لا يختص سلطانه بلغة دون غيرها من اللغات ، ولا بوزنٍ من الاوزان او نغمةٍ من النغمات ، اعيا المدارك سرُّ فعله في النفوس فلا تستطيع له

وصفاً وافياً او تعريفا ، واستعصى فاعل تأثيره على البصائر فلا تطيق له تحديداً او تكييفا ، وهو جواد جمح بكثير من فرسان الفضل وملوك العرفان ، وسلست مقادته على بعض غلمان الورّاقين والخبّازين والرعيان .

ومنها

بل هو رسم ادقّ العواطف واخفى حركات النفوس ، والصهباء التي تسكر بها الاذواق صافية من اكدار الكؤوس .

بل هو الحكمة توحيها الفطنة الى ملك البلاغة والبيان ، فتبرزها لعالم السمع في ابدع مطارف النُهى وحُليّ اللسان ،

ومنها

بل هو روح يمازج النفوس فيصعد بها في عوالم الغيب ، فتتخطّى مناطق القياس والتقدير الى عوالم الشك والريب ، بل تجوز عوالم الحدس والظنون ، وتخترق الحجب فتترك خلفها ابعد مرئيات العيون ، وتجرّد من عناصر الوهم والتخييلات ، احوالاً ومخلوقات تحسبها لديها من المشهودات .

بل هو بخار الرياض والانهار ، ونفحات الربيع والازهار ، وصدى البلابل والاطيار ، ولحن نسمات الاسحار .

بل جوهر تجرّد عن الهيولى ، وترفع عن المادة الاولى ، فلا يتوصّل اليه بغير السمع من الات الحسّ ، ولا يعلق به شيء من النظر او الشم او اللمس ، وقد يتمثّل لدى اعين الذهن مليّا ، كما لو كان مخلوقاً سويّا ، ويتقبّل ملفوظا ، ويتصوّر ملحوظا .

بل هو افصح ترجمان لاعجم مخلوق في عالم الوهم ، وابلغ معرب لاغلق مكتوب في غياهب الحلم .

بل هو اوضح مصوّر لاسرع سانح في فضآء الخيال ، واجلى مفصّل لمعترك التصورات في غيابات المحال ...

ومن محاضرة في وصف قصور الخليفة المأمون :

وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعد شاسع ، ولاسيما قبابها ، فمن مجصّص الجص الابيض الناصع كالفضة البارقة ، ومن مطليّ نصفهُ السفلي بالاخضر الناضر والنصف العُلوي بالذهب النضار ، وفوقها جامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة ، ثم تبدو للعيون تلك الحدائق الممتدة الى اقصى مدى البصر ، تتسرب فيها جداول المآء من برك عظيمة الاتساع ، مختلفة الاوضاع ، ينصبّ فيها المآء كالفضة الذائبة من افواه حيتان او سباع ، او ثيران ونسور ، من [illegible] مختلف الالوان ، بالغ من الصناعة نهاية الاتقان ، بين جنّات قد ازدحمت غياضها ، واشتبكت اشجارها ، وتعانقت اغصانها ، وامتدّ ظلالها ، يسير فيها الداخلُ تحت اقبية واطواق ، من فسيفسآء الاوراق ، في مماش كأنما ارضها خمائل سندسية ، وعلى جانبيها درابزينات لا يُدرك الطرف منتهاها ، قد اعترش عليها الياسمين ، وتعلّق بها الورد والنسرين ، ونمت حولها الازاهر والرياحين ، وقامت وسطها القصور الباذخة ، والصروح الشامخة ، والاروقة المرتفعة ، والجواسق المنمّقة ، ذوات الساحات المترامية ، والصحون الفساح ، والافنية الرحاب ، والاندية العظيمة ، طيقانها ابواب ، وابوابها حيرة الالباب ، قد أُرخيت عليها ستور الديباج والاستبرق ، كانها اجنحة الطواويس ، وفُرشت ارضها بانواع الفسيفسآء تحاكي ازاهر الجنان ، ومتمادي الحيوان ، من اسود ونمور وغزلان برخام متعدد الالوان ، يخالطه خشب الصندل والعود الهندي ، وفي كلّ بهو

بركة او بركٌ تنساب اليها المياه على ملوّن المرمر كالأُجين الذائب ، والسمك على اختلاف الاشكال والالوان ، تصعد في مآنها وتنحط ، وتعوم كما يعوم فيها البط ، وقد رُقشت حيطان تلك الابهآء بالقاشاني البديع ، يحاكي بالوانهِ ورسومهِ ازهار الربيع ، ورُفعت سقوف تلك الاندية الرحاب ، على اعمدة المرمر ذوات الالوان الباهرة ، وقد أُحكِم صنعها ونقشها ، وتكامل حسنُها بتذهيبها ورقشها ، وقامت قبابها على قناطر وحنايا واضلاع ، بلغت بها صناعة الهندسة غاية الابداع ، ودارت فيها الطيقان ، كالقلائد في اعناق الحسان ، وقد قعدت على اساطين وسوارٍ ركزت على قواعد من الصوّان ، وتقدّمت باقداح من الرخام ، وبلغت من الزهو والارتفاع

ومنها

وكانت لا تقع العيون في تلك الاندية والابهآء والغرَف والمقاصير ، الاّ على محاسن قد تناهت في الظرف ، وملاحةٍ وابداع يقصر عنها كل وصف ، فمن حيطان من الزجاج رُفعت ورآء الشُرُفات تنعكس عنها الانوار الى داخل القباب ، ومن حيطان من جسيم المرمر قد حاكت بحفرها ورسمها حبائك الغمام ، او اجنحة الاطيار ، او غلائل الحسان ، او ظهور السمك والحيتان ، او صور الغزلان وغيرها من الحيوان ، بين مجعّدٍ ومفوّف ، ومسيرٍ ومنمّر ، ومكفوف وملفوف ، الى اشكالٍ والوان يُعجز وصفها .

وفي كل قصرٍ قصور ، وفي كل نادٍ روضة وغدير ، وغُرَف ومقاصير ، وسجوف مُرسَلة ، وستور متراخية ، وسُرُر مرفوعة ، وارائك مصنوعة ، وحجال منصوبة ، ومجالس مفروشة ، ومقاعد موضوعة ، وكراسيّ مصفوفة ، وطنافس مبسوطة ، وموائد قائمة ، واباريق مبثوثة ، وخوابٍ من فاخر

الصيني مسنودة ، وترجيات منسوقة ، واوان مختلفة الاشكال ، نادرة الحسن والمثال ، من الصيني والزُجاج ، والذهب ونفائس المعدن ، ومجامر العنبر ، ومباخر الندّ ، وقماقم ماء الورد ، الى ما لا يبلغه عدّ ولا يتخيلهُ فكر شاعر .

ومن سوانحه :

انوفٌ كبيرة ، على نفوس صغيرة .

ما اكثر المقلّدين ، واقل المبتدعين .

لا تنقى الاعراض ، مع كَدَر الاغراض .

دعاوٍ عريضة ، وهممٌ مريضة .

التقليد مع الجمود ، ذبول وهزال يسير بالامة الى المذلة والانقراض .

التقليد مع التحسين (الاجتهاد) نموٌ في الامة يصعد بها الى قمم المجد .

ومن قدوده لحن عرّبه بتصرّف عن الاصل الفرنسوي

jusqu'au tombeau je te serais fidel

يومُ النوى لقد كوى فؤادي وشرحُ ما جرى لنا يطولْ

نبي الهوى من الجوى سُهادي وقد رثى ورقّ لي العذولْ

دور

فلا تسلْ عن موقف الفراقِ وغيرُ دمعي لم يكن معينْ

وساعةَ الوداعِ والعناقِ سلّمتها قلباً لها امينْ

دور

وقلتُ يا مليكةَ الجمالِ ومنيتي وبهجةَ الوجودْ

وغـايـتي ومنتهى آمـالي ونعـمـتي ونقمـةَ الحسودْ

دور

لئن جرَت بنـا يدُ القضآء وشتّتت نظامَنـا البديعْ
فـانّـني سموألُ الوفـآء وانّـني اسيركِ المطيـع

دور

ماحلتُ عن عهدي ولاذمامي ولـو أريـقَ دونـهُ دمي
وانّـني لساعةِ الحِمـامِ سواكِ لا يجـولُ في فمي

دور

اليـكِ يا اميرةَ الحسانِ شكوتُها لي فانظري الدوآء
عـلى لسا ني وعلى جناني لتشهـد البرايا والسمآء

دور

وانتِ يـا فريدةَ المِـلاحِ هل قلبكِ عـلى الولا مقيمْ
أمْ انتِ بيـن الجِدِ والمزاحِ تنسين عهـدَ ودِّنا القـديم

وكتب الى صديقهِ الاديب العالم السيد اسعاف النشاشيبي في القدس جواباً عن اهدائهِ لهُ رسالة من تأليفهِ :

وصلتني كلمتكم « كلمةٌ موجزة في سير العلم وسيرتنا معهُ » فسرّحتُ طرفي منهـا في روضة بلاغة نقّطت ازهارهـا الغمائم ؛ بل في عالم فضلٍ جمـع شتيت العوالم ، ونقلتني سطورهـا الموجزة الى الهنـد والصين ، ورفعتني آياتها المعجزة الى اعلى علّيين ، وابعدت بي في المكان والزمان ، حتى حادثني كهنة مصر وفلاسفة اليونان ، بل جاوزت بي عصور الخلق الحيواني واحقاب ظهور النبات ، بل تعدّت ما قبلها من الدهور السحيقة لتكوّن

الجمادات ، ثم حلقت بي على اجنحة الفكر وأقدام الخيال ، فجولت في العوالم الشمسية ومن لي بشرح ذيالك التجوال ، وعاينت باعين العلم ما تعجز عن ادراكه اعين الحس من آيات الجمال . ثم حدرتني الى عالمنا السيار ، وسايرتني الى آخر الاعصار ، وعرفتني جماعة من حكمائه الكبار . كباكون ونيوتن وسبنسر وداروين ، وكنت ولامارك وهيكل علم المتأخرين ، وكثيراً من اضرابهم من تطأطئ لفضلهم شوامخ الرؤس ، ويقال عند ذكر اسمائهم لا عطر بعد عروس ، فيا حبذا كلمك وما أوجزت ، ولله درك ولله انت ، لا زلت تدير علينا من صهباء فضلك كؤوسا ، وتطلع لنا من سماء معارفك بدوراً وشموساً .

وقال في وصف لبنان من كتاب لاحد اصحابه :

. . . لدى تجولك في قمم لبنان واوديته ، تستنشق نسمة وصافي اهويته ، بين عيونه المتفجرة ، وغاباته المنحدرة ، وظلاله المثمرة ، ورياضه المزهرة ، تمتص ريق كل بكر من بنات الكروم ، وتصرع كل جيش من جيوش الهموم ، وتعانق كل غانية من غواني الخيال ، وتنادم كل معنى من معاني الجمال ، وتذوق طعم كل حسن في الوجود ، حتى قد لا تفوت حواسك الخمس لذة الخلود ، فياليتني كنت معك ظاعناً ومقيماً ، فافوز ولاريب فوزاً عظيماً . . .

واليك شيئاً من نسيبه :

عهدي بحبلك في الهوى موصولا ... وبربع ودك عامراً مأهولا
اذ كل اوقات الزمان ربيعنا ... واذ الشبيبة لم تضع مأمولا
واذ النواظر خير رسل بيننا ... واذ الحديث حكى النسيم بليلا

ليلاتُ انسٍ مثل ساعاتٍ مضت ... بل اشهر مرّت بنا تعجيلا
وآهاً لذيّاك الزمان فانّهُ ... عُرسُ الحياةِ وقد اقام قليلا
ايّام نمرحُ في ميادين الصبى ... ونجرّ من حلل الهناء ذيولا
طوراً تعاطيني الكؤوسَ وتارة ... تحمي عليّ البارد المعسولا
ولكلّ يومٍ موعدٌ نشكو بهِ ... حرّ الصبابة او نكيدُ عذولا
ولكلّ روضٍ من عبير عتابنا ... أرَجٌ يُعيد الريحَ منهُ قَبولا
وبكل خلوةِ جنةٍ سرٌ لنا ... شدت البلابلُ آيَهُ ترتيلا
ولكل بادرةٍ تجول بخاطرٍ ... منا شروح فُصّلت تفصيلا
برسالة قد سُطّرت لم نأتمن ... يوماً لها بين الانام رسولا
هل انتِ ذاكرةٌ بعيشكِ حبّنا ... ومواسماً غرراً لنا وحجولا
اذ كنتِ تختصرينَ مني ساعدي ... واضمُّ منكِ المعصمَ المفتولا
واري بقربكِ جنّتي وسعادتي ... وترينَ بي كلَّ المنا والسولا
أم ناسيةٌ احاديثَ الهوى ... وجوى الغرامِ وعهدكِ المسئولا
أم قد اطعتِ العاذلينَ وسعيهم ... ما زال مذ خلق الهوى تضليلا
أم قلتِ إنّكِ قد كبرتَ عن الهوى ... فقطعتِ ودّي واتخذتِ بديلا
وذهبتِ في ليل الغوايةِ مذهباً ... ارضى الوشاة فقيل ما قد قيلا
أسفي على ذاك الجمال فانّهُ ... قد بات شيئاً بعدنا مبذولا
وقد انطوى فكأنّهُ حلمٌ غدت ... ترويهِ اشعار القرون الاولى
تالله ما عجم الزمان عزيمتي ... الا تولّى خائراً إجفيلا
اسلاكُ صبحٍ قد بدت في لمّتي ... كالبرق بات على الدُجى مسلولا
اهلاً بما ابيضت وجوهٌ من سنا ... انوارهِ فغدا لنا اكليلا

ومن غزلياته :

تذكار ليلة

للهِ ما هذي الشمائل ... تيّمتِ ذا جهلٍ وعاقلْ
يا غايةَ الحسنِ التي ... سَبت الاواخرَ والاوائلْ
لكِ طلعةُ البدرِ المنيـ ... ـرِ وقامةُ الخطّار ذابلْ
لكِ حجةٌ عند الجدا ... لِ تقوم في فَلْجِ المجادل
يا سرَّ انواعِ الجما ... لِ وآيةً أبتِ المماثل
هل انتِ مُسعدتي بطائل ... أم انتِ مُسعفتي بنائل
للهِ ليلتنا التي ... مرّتْ كمرِّ البرقِ خاتل
سِرنا فكم عينٍ تُرا ... قبهُ وكم سمعٍ مخاتل
جنباً الى جنبٍ على ... مرأى الحواسدِ والعواذل
عاطيتُها طَرَفَ الحديـ ... ـثِ فناولتني خمرَ بابل
وتفننت بكلامها ... فَفُتِنتُ حتى بتُّ ذاهل
تدنو وتبعد تارةً ... شأن المساجل والمُغازل
حتى اذا ما قاربتْ ... وظننتُها مطواع آمل
حاولتُ قبلةَ ثغرها ... فتجاهلتْ مما احاول
وتباعدت عني كما ... شاء الدلالُ فلم أزايل
وظللتُ ارقب خلسةً ... منها فأولت فعل غافل
فقبضتُ معصمها وقا ... لتُ كفى دلالُك فهو قاتل
لا عينَ ترقبُنا هنا ... قالت فماذا انتَ فاعل
فاجبتُ ارجو قبلةً ... عجلاً فخيرُ البرّ عاجل

قالت فخذها من رضىً وعساك تقنع مثل عاقل
فلثمتُ وجنتها وقلـ ت اروم وعداً منك آجل
قالت أما أُنهيتَ من طمعٍ فقلتُ هواكَ شاغل
انّ القناعةَ في الهوى شأنُ المغفّلِ لا المُخالل

ومن موشحاته :

فلسفة الغرام

قالت الى كم تشتكي حرّ الجوى وتدعي انكَ من اهل الهوى
أتحسبُ الغرامَ والميل سوا كلاّ فما ذلكَ من هذا النوى
وانما الغرامُ شيءٌ آخَرُ
ما كلّما اصطاد غزالٌ اسدا او جارَ ذو حسنٍ بحكمٍ واعتدى
او راحَ مشتاقٌ يذمّ السهدا يُقال ان للهوى فيه يدا
وانما الغرامُ شيءٌ آخَرُ
ما كلّ قلبٍ خافقٍ متيّمُ او كلّ دمعٍ عن هوىً يترجمُ
كم عاذلٍ بالغيب امسى يرجمُ يقولُ بالغرامِ ما لا يعلمُ
وانما الغرامُ شيءٌ آخَرُ
ليسَ الغرامُ موعداً لم يصدقِ ولا شفاهاً بشفاهٍ تلتقي
ولا عتاباً مع رسولٍ مُشفقِ ولا يميناً وُكّدتْ بموثقِ
وانما الغرامُ شيءٌ آخَرُ
كم نظرةٍ قد اطمعتْ ذا املِ ولفتةٍ قد شغلتْ ذا شغُلِ
وليلةٍ ما شئتَ فيها فقلِ وكلّها من الهوى بمعزلِ
وانما الغرامُ شيءٌ آخَرُ

ومنهُ

اذا عيونٌ بعيونٍ علقتْ فخفقَ القلبانِ مما نطقتْ
فاجتذبا بقوةٍ قد اوثقتْ كليهما كما قضتْ وشوّقتْ
فذلكَ الغرامُ ليسَ الآخرُ

. . . . .

وقالَ في باريس يصف يوم مهرجان :

يا يوماً اطلعهُ الدهرُ كُلُّ الايامِ لـهُ مَهْرُ
باريسُ جاءتْ فخلائقُهـا وشوارعُهـا موجٌ بحرُ
يانصفَ الصومِ وعيدَ القو مِ أبعدكَ عيـدٌ ام فِطرُ
باريسُ سمت فمغانيهـا وغوانيها سكرٌ سحرُ
فهُنا قدٌّ يحكي غصنـاً وهنا وجهٌ بل ذا بـدرُ
وهنـا قفزٌ وهنـا لذٌّ وهُنا بوسٌ وهُنـا عصرُ
وهنا روضٌ وهنـا نهرٌ وهنا حوضٌ وهنا جسرُ
ونجومٌ تُذرى فوق الخلا ق لهـا نظمٌ ولهـا نثرُ
ورقٌ يحكي الوان النو رِ فلا يُخشى منـهُ ضرُّ
فوجـوهٌ منـهُ تصفرُّ ووجـوهٌ منـهُ تحمرُّ
قد بتنا منـهُ باثوابٍ لم يُبدعها يومـاً فكرُ
عيدٌ للحسنِ تُعيّـدهُ باريزُ فمن لا يفـترُّ
وشوارعهـا سالت بالنا سِ كبحرٍ يقذفهُ بحرُ
ملكاتُ الحسنِ علت فيها سُرراً لم تشهدهـا مصرُ
جرّتها . جيلٌ مسرجـةٌ بسروجٍ طرّزهـا التبرُ

سارت والموكب يقدمها ... لا يحجبُ حسناءَ سترُ

وبنودٌ تخفقُ حواليها ... والندُّ تضوَّعَ والعطرُ

وطبولٌ ثمَّ مزاميرٌ ... صدحت فتجاوبها القُمْرُ

للهِ بدائعُ باريزٍ ... وعجائبُ ليس لها حصرُ

من قصرٍ يحملهُ فيلٌ ... او عرشٍ يحملهُ نسرُ

او فُلكٍ سارَ على بكرٍ ... تملوهُ حسناءُ بِكرُ

او حصنٍ جرّتهُ خيلٌ ... قادتهُ عذراءُ غرٌّ

او تلٍّ يكسوهُ ثلجٌ ... لم تصحبهُ ريحٌ نكرُ

او من عرشٍ فيهِ صنمٌ ... فيهِ روحٌ فيهِ سحرُ

او بستانٍ فيهِ قصرٌ ... فيهِ حورٌ فيهِ زهرُ

وملائكةٍ في افلاكٍ ... فيها نجمٌ فيها بدرُ

وطهاةٍ تُملن مأكولاً ... عشراتٍ يحملها قِدْرُ

وطهاةٍ قد لبستْ حللاً ... كبقولٍ انبتها بذرُ

فاللفتُ مع الشوكيِّ مشى ... ومشي البقدونسُ والجزْرُ

وكرفسٌ مثل رماحٍ يتـ ... لوهْ بصلٌ ثومٌ فطرُ

وجرى هرمٌ يختال فتحسـ ... ـبْ في باريزَ بدت مصرُ

وهنا طاوسٌ من نورٍ ... وهنالكَ من نورٍ صقرُ

ومصابيحٌ وقناديلٌ ... حمرٌ صفرٌ زرقٌ خضرُ

واهازيجٌ واناشيدٌ ... وعساكرُ يحدوها النصرُ

وغرائبُ ليس لها وصفٌ ... في الكتبِ وليس لها حصرُ

والناسُ من الحيطانِ وفي الا ... طيقانِ تصيحُ لنا البشرُ

ونسآءٌ قد لبست اثوا	بَ رجالٍ والتبس الامرُ
وشيوخٌ تلعبُ كالولدا	نِ وليسَ على احد نكرُ
وزجاجاتٌ واباريقٌ	لعبت بمعاطيها الخمرُ
ونهارَ العيدِ بليلتهِ	وصلوهُ فلم يحدث هجرُ
ما بينَ اللهوِ تنقضي الليـ	لُ على عجلٍ وبدا الفجرُ
فايادٍ في ايدٍ عُقِدتْ	واياد يعقدُها الشعرُ
وخصورٌ تحسَبها وهماً	ولحاظٌ عاهدها السحرُ
كم جيدٍ افتنَ ذا لُبٍّ	كم غصنٍ يعلوهُ بدرُ
رقصوا كغصونٍ قد لعبت	بحواشيها نَسَمٌ عطرُ
كم خصرٍ طوّقهُ زندٌ	كم خدٍّ قبّلهُ ثغرُ
كم قلبٍ يخفقُ في صدرٍ	كم ماجٍ يحملهُ خصرُ
صاحوا والصبحُ يفرّقهم	وعهودُ الحبِّ لها نشرُ
يا عيداً تفديهِ الاعيا	دُ ويحسدُ بهجتَهُ الدهرُ
عُدْ والزم عاصمةَ الدنيا	فسواها من الجسمِ الظهرُ
كُلُّ الامصارِ لها عَقِبٌ	باريسُ من الدنيا الصدرُ

ومن باب الوصف ايضاً قال يتشوق الى باريز وقد سمع منشداً ينشد

C'est là c'est là que je veus v ivre, aimer et mourir.

فمرّ بهُ ببيت جملهُ قبل بيت الختام :

الحنين

حنينٌ الى تلكَ المنازلِ زائدُ	وطرفٌ كما تقضي الصبابةُ ساهدُ
وشوقٌ وان شطّ المزارُ مقرّبٌ	وحظٌّ برغمِ العزمِ مني مباعدُ

سقى الله عهد النازحين وان قسوا عهاد الاماني كلما حن واجدُ
وباكر هاتيك الديار نسيمها تعطّرُ منهُ روضها والمعاهدُ
بلادٌ هي الدنيا وقومٌ هم المنى وسكانها الاهلون والعيشُ باردُ
ولا غربةٌ فيها لمثلي يخافها ولا الاخُ غضبانٌ ولا الجارُ حاقدُ
منازلُ أنسٍ تأنسُ الطيرُ عندها وبأهلُ فيها نمرها والاساودُ
هنالك لا غرٌ جهولٌ مزاحمٌ ولا الفضلُ منقوصٌ ولا العلم كاسد
صبوحي فيها بالجنان تفتّحت ازاهرُها والطلّ كالدرّ عاقد
وفيها غبوقي بالرياض تسلسلت عليها سواقٍ كالأُجين قلائدُ
وحولي مما ينعشُ النفس كلُّ ما يجدّدُ عهد الحبّ والوجدُ راقدُ
فروحٌ وريحانٌ وراحٌ شهيّةٌ وانغامُ اوتارٍ وبيضٌ خرائد
نهاري في نظم المحاسن ينقضي وليلي في ما ينثرُ الفضلُ نافدُ
أشاهدني في جنةٍ عند كوثرٍ عليهِ حسانٌ كأنهن نواهد
يحاذين فلكا هنّ فيهِ كأنّهُ سماء بليلٍ رصّعتها الفراقد
واشهدُني في ملعب فاق حسنُهُ تقصّرُ عن ادنى بهاهُ القصائد
فمن دار تشخيصٍ الى ظلّ جنة الى منتدى فضلٍ تسيرُ المقاصد
فخانٍ نفاني الدهرُ عنها لشقوتي فهل نحوها بعد النوى انا عائد
فلاصحّتي مذ بنتُ عنها صحيحةٌ ولا موردي صفوٌ ولا الهمّ حائد
بلادٌ تقضت صبوتي في ربوعها وعدتُ اليها والشبابُ مساعدُ
وعاودتها بعد الشبابِ ولمّتي مخضّبةٌ كالفجرِ والوجدُ واحد
احبُّ براريها واهوى قصورها وسكانها القومُ الكرام الاماجد
هنالك لا شملُ الصفاء مبدّدٌ بكيدِ الاعادي لا ولا الجهلُ سائد

هنالكَ اهوى ان اعيشَ واشتهي ... هناكَ الهوى والموت حين يراودُ
هنالكَ فؤادي لا يزالُ مقيداً ... وليس يطيبُ العيشُ والقلبُ شاردُ

ومن مقاطيعهِ التي سماها « مرآة الاخلاق » وهي وصف اخلاق بعض المعاصرين او بعض اخلاقهم قال

اذا لم تكن خلاً اميناً موافقاً ... ولا صاحباً يُرجى لخير ويُقصَدُ
ولا ربَّ جاهٍ يستظَلُّ بظلّهِ ... ولم تكُ ذا صوتٍ رخيمٍ يغرّدُ
ولا كاشفاً غمّاً اذا الهمُّ اعلَتَ ... ولا فيك علمٌ عنك يُروى ويُسندُ
ولم تكُ مطواعاً فترُشدُ للهدى ... ولم تكُ ذا نصحٍ وعقلٍ فترُشِدُ
ففيم تمدُّ الصوتَ في كلّ مجلسٍ ... وتُمليهِ طوراً قائماً ثم تقعدُ
وتلتقطُ الاخبارَ غثاً وتافهاً ... وان قال ذو فضلٍ عندتَ تفنّدُ
فهل ترتجي مني وداداً وصحبةً ... وانتَ من الخيراتِ والفضلِ مكسِدُ
يميناً لئن كنتَ ابنَ امي ووالدي ... وكانت كنوزُ الارضِ عندكَ توجدُ
لما زدتَ في عيني على قدرِ نملةٍ ... ولا كنتُ الاّ هارباً منكَ ابعدُ

ومن هذا الباب :

اذا ما مواثيقُ الاخاءِ تقطّعتْ ... ولم تحملوا ضيمي كحمليَ عنكمُ
ولم تكُ منكم للعهود رعايةٌ ... فلا انتمُ مني ولا انا منكمُ

ومنهُ ايضاً :

عجبي من معشرٍ إنْ يسمعوا ... قولَ شرٍّ رقصوا واستبشروا
انا لا احزنُ ان قيلَ اغتنى ... بعد عسرٍ واحدٌ او اكثرْ
لا ولا افرحُ ان قيلَ هوى ... من اعالي عزّهِ مستكبرِ
بنعيمِ الناسِ لا اشقى ولا ... ارتجي لي ثروةً ان فقَروا

حسدُ الجاهلِ شرٌ فاضحٌ   حسدُ العالِم شرٌ اكبرُ

ورأى المزوّق (المدهّن) في غرفة مكتبته يتأنّق في نقش السقف وترويقهِ فقال

هَبْ أنّ هذا السقف من عسجدٍ   وانّ هذي الارضَ من فضّةٍ
أليسَ ذا عاريةً كلّهُ   والمنزلُ الاخرُ في حفرة

وقال

طالما قد اسأتمُ وعفونا   يوم كان الصبي شفيعاً مؤمّرْ
كم جرحتم قلبي ولم اتبرّمْ   وكسرتم عظمي ولم اتضجّر
كان منا الصِبا مرهمَ جرحٍ   وجُبوراً لكلّ ما يتكسّر
فأسأتم بعد اكتهالٍ وكسر الـ   عظمِ بعد المشيب لا يتجبّر

وقال من باب لزوم ما لا يلزم .

أما في الحمى ضوءٌ لمن جنّهُ الليل   أما هضبةٌ تُرقى لمن دهَم السيل
الى كم يظلُّ الظلمُ للعدلِ ماحياً   وكم يستمرُّ الجورُ في الناسِ والويلُ
اذا قال ربُّ الفضل أنكرَ قولهُ   وان نطقَ المهذارُ قيل هو القيلُ
اقلّبُ طرفي في الديارِ فلا ارى   سوى مدّعٍ فضلاً وليس لهُ ذيلُ
اذا قلتُ قمْ للامرِ قام معدّداً   معاذيرهُ لا حولَ فيهِ ولا حيل
تحكّمت الاذنابُ فالامرُ اعوجٌ   متى كان للاذناب عن عوجٍ ميل
أجهلاً وبغياً واستطالةَ فاجرٍ   وعصرَ جيوبِ القوم قد طفح الكيل
اما فيكمُ للبثِّ صيحةُ مشتكٍ   اذا لم يكن مالٌ لديكم ولا خيل
كفى القومَ عاراً ان يُقالَ غبيّهم   اخو سؤددٍ فيهم لهُ المنع والنيل

حزيران ١٩٢٢

ورأى في المنام من يعرفه فخاطبه بالبيتين الاتيين وسمع منه جوابهما :

اكاملَ هذا الوقتِ والدولةِ التي لهُ دوننا فيها غدا النهيُ والامرُ

متى ينتهي جهلُ الزمان وحمقهُ فينحطّ ذو جهلٍ ويرتفعَ الحرُّ

فأجاب

تخيّرني من اصبحَ الامرُ امرهُ فكان الذي ارجو واسعفني الدهرُ

بل اصطفي الاّ اناساً خبرتُهم لهم دون علمي وهوَ لا شيء بل هذرُ

وقال يؤبن صديقه الاعز علامة العصر الشيخ ابرهيم اليازجي وانشده في محتفلٍ مشهور في الاسكندرية سنة ١٩٠٦ وهو من نوع الموشح وسماه المرصّع :

يا راحلاً والقلوبُ في أثرهْ تتقطّعْ

وغائباً لم نقفْ على خبرهْ ولم نطمعْ

ويا حبيباً زواهُ عنا الردى ولم يشفع

في بعدهِ شافعُ الحجى

هل عميَ الدهرُ عن جميع الورى فلم يدفعْ

يومكَ يا غايةَ المنى

لوكانَ فداؤكَ بالارواحْ شيئاً معقولا او امراً مقبولا

لبذلناها

قد كنتَ لنا شمسَ الاصباحْ لما كسفَتْ منا انفجرتْ مقلُ نظَرت

ما ادماها

فلو انكَ مذ بانْتَ هذي الارضَ قد عاينْتَ حزنَ البعضِ ما استنكفتَ ان توحي اليهم بعض اياتكْ

ليفوكَ حقوقَ رثائِكَ والتأبينْ
انْ كانَ يفي ذاكَ بيانٌ او تبيينْ

فلو انّا الشهبَ استنزلناها وفداً وفدا
وعقودَ الدرِّ نظمناها عقداً عقدا
وصنوفَ الوردِ نثرناها ورداً وردا
لقضاء حقوق عُلاكْ ووفاء ديون حُجاكْ

لم ننلْ سوى الفشلْ والخجلْ
اذ عرفكَ [1] طيبٌ بل عنبرْ بل ذاكَ هو المسكُ الاذفرْ
وبيانُكَ [2] سحرٌ او سكّرْ بل ذاك النيلُ بل الكوثرْ
وضياؤكَ [3] نجمٌ بل ازهرْ بل صبحٌ وضاحٌ اسفرْ
بل ذلكَ شمسٌ بل انورْ

فلأنوار معانيكْ ولاسرار اماليكْ تعنو الافهام
وعيونُ النثرِ اذا فاضتْ وبحورُ الشعر اذا غاضتْ
لابدع فيهِ ذلكَ خطبٌ عَمْ صنوفَ العلمْ
واللغةُ والعصر [4] انهما لفي خسرْ
ولمصرعكَ البلبلُ انتحرْ [5] والزهرةُ غارتْ والقمرْ [6]
فمن المعيدُ او المجيدُ سُلافة دُعيتْ شمولا
ومُدامةً سلبتْ عقولا

(١) العرف الطيب (٢) مجلة البيان (٣) مجلة الضياء (٤) مقالة (٥) انتحار بلبل مقالة
(٦) مقالة الزهرة ومقالة القمر

فغادرت اهل النهى حيارى تحسبهم بلا حجى سكارى
وما هم بسكارى

اما المعجزة الاخرى بل آية آياتك الكبرى ففرائدك الحسان[٨]
تلك اليواقيت التي تفدى بنور المقلة ما لؤلؤ ومرجان ؟
فلها بعد نوالك عينان نضاختان

ومنهُ :

والشعر اطاعك منقاداً	لا بزمام	عاصيه
والى تبيانك قد سجدت	اهل الاقلام	تستفتيه
لما خرّت صفوف القوافي لبراعتك	صفاً	صفاً
وخضعت بل ركعت صنوف الكلام الطيّب لبراعتك	صنفاً	صنفا
واصبحت آيات البلاغة عيالاً على صناعتك	بل وقوفاً	وقفا
وتوارد مترادف اللفظ عند موردك	ردفاً	ردفا
وتزاحم جماعات الفصاحة عند كعبة عرفانك	ألفاً	الفا

فشاردها الفت ومستورها كشفت ووضعت وجمعت
واقت واقعدت واضحكت وابكيت واعدمت واحييت
فا الذي حل بذاك الهيكل الانسي فقضي على حركاته بالسكون
وما عرا بل ما دها ذلك الروح القدسي فحجب هيولاه عن العيون
أطائر قد يعود ام غائب موجود ام مضمحل مفقود ؟
لا
بل انت الحي بآثارك الباقي باسنى انوارك

(٨) الفرائد الحسان معجم له

المستعلي فوقَ الاحياء　　الخالدُ في عرشِ الضياء

المرتدي ثوب البهاء

يـا قـوم ، لا حزنَ عـلى اا　　إمامِ من بعد اليوم

وقال عندما ورد الخبر بفتح القدس في التاسع من كانون الاول للسنة ١٩١٧

• • •

الفتح الجليل

اشرعوهـا هنديـةً تتلمَّع　　ثم ساروا والجيشُ بالجيشِ يُتبَع

قدَّموا قبل سيرهم عجلاتٍ　　كحصونٍ وكلُّ حصنٍ مُدرَّع

حمَّلوها من البـلاء جبـالاً　　بل رجالاً بكلِّ قلبٍ مشيَّع

رتَّبوهـا كتائباً قاذفاتٍ　　بسيول النيران من كل مدفع

فجرَت حيث تاهَ اقوام موسى　　راشداتٍ كالبرق او هيَ اسرع

وقضَوا ان يكون للقدس يومٌ　　يترضّى بحكمهِ الناسُ اجمع

فاستداروا حولَ المدينةِ حتى　　بيتِ لحمٍ وشاهدوا كلَّ موضع

ثم عنها تباعـدوا مظهرينَ اا　　عجزَ حتى تراجعوا كلَّ مرجع

فاقتفاهم جيشٌ من التركِ والأا　　مانِ والكردِ والمجارِ تجمَّع

قادهُ قائدٌ عنيـدٌ شديـدٌ　　طالما دبَّرَ الجيوشَ وفزَّع

قالَ مصرُ لكم فسيروا اليها　　ليس لي بعدها سوى الهندِ مطمع

فاتاهُ الصريـخُ انَّ حصونَ اا　　قدسِ في قبضة العدا فتخرَّع

وتلاهُ من المدافعِ رعـدٌ　　قاصفٌ زلزلَ الجبالَ وزعزع

رجَفَ القبرُ رجفةً كاد منها ... ركنُ قدسِ الاقداس ان يتضعضع
ثم كان الضجيجُ والهولُ والفر ... وكرٌّ بهِ المنايا تُوزَّع
ثم بانت راياتُ قومٍ لهم في ... كل يومٍ مجدٌ جديدٌ مفرَّع
ولهم في الحروب عاداتُ نصرٍ ... قد أبت ان تحولَ او تتسكَّع

ومنها

ردّدي الحمدَ يا معابدَ أورشـ ... ـليمَ للفاتحينَ حمداً مضوَّع
واستنيري وهلّلي واستنيري ... منك نورٌ للفتح في الشام اشرع
بعد جورٍ مضت عليهِ قرونٌ ... بتِّ للأمنِ والعدالة مطلع
بتِّ للناس كلّهم حرَماً أد ... نى الى الوفقِ والتساوي واجمع
حقّق الفتحُ قولَ كلِّ رسولٍ ... فوق تلك الجبال ناح وقرَّع
كنت للشر والتباغض ركناً ... ولنشر التفريق والحقد مربع
كنتِ ارضَ الحروب والظلم والعد ... وان دهراً وللتفاسد مَرْتَع
جففتْ ارضَك المياهُ وحلّ الـ ... جدبُ فيها فاصبحت شبه بلقع
صدقَ اليوم قولُ كل نبيٍّ ... نظم الشعر في علاك وسجَّع
منكِ يأتي خلاصُ الناسِ طرّاً ... من عداءٍ عمَّ الشعوبَ وروَّع
ويرى الخلقُ فوق طورك نوراً ... ظلمةُ الشرقِ تنمحي حين يسطع
فرعى الله بيتَ لحمٍ وحيّا الـ ... مسجدَ الاشرفَ المنيف المرفَّع
وسقى ركنَ هيكلِ الملك السا ... مي سليمانَ سحْبَ عزٍّ مسرَّع
يترك الهيكلَ القديمَ كظلٍّ ... لجديدٍ يكون للعلم مجمع

. . . .

ومن مقاطيعهِ :

للمالِ سلطانٌ عظيمٌ في الورى فاقصد لكسب المال من ابوابهِ
هوَ آلةٌ لمفاخرٍ وسعادةٍ لا علةٌ عُبدتْ لمحض ترابهِ
هو كالطعام لنا غذاءٌ صالحٌ ان صحَّ هضماً لا بفرطِ نهابهِ
فيهِ قوامُ الجسمِ ما اعتدل الغذا وصيانةُ لفسادهِ وعذابهِ
تبذيرهُ سفهٌ وحُمقٌ كنزهُ فمليكَ في الانفاق سبلَ صوابهِ

وكتب اليه احد المتأدبين الظرفاء من السجن يستغيث بهِ ليتوسل في اطلاقه فاجابه مداعباً بهذه القصيدة :

إنني نُبّئتَ انَّ الشيخ قد ساقهُ بالامس اربابُ الدركْ
بقضاءِ اللهِ او مُتّهماً بجُناحٍ هو افكٌ مؤتفكْ
فادّرع بالصبر واعلم انها نعمةٌ حلّت على عبدٍ نسكْ
يا رعى الله مكاناً قد غدا فيهِ شيخ الظرف يجري كالسمك
ليس ما قد بتَّ فيهِ قفصٌ لا ولا سجنٌ ولا ذاك شَرك
انما ذاك عرينٌ منذُما اسدُ الشهباء فيهِ قد سلك
او هو القصرُ الذي فاق على فلك حلَّ بهِ يوماً ملك
فلذا يحسد من بات بهِ في نعيم العيش يا شيخ معك
كم بهِ من نفخة مسكيّةٍ تنعش الروح اذا الليل حلك
وبراغيثٍ اذا ما هاجت خلتها مثل اسود المعترك
وسوى ذلك من قملٍ ومن لسعِ بقٍّ قد حكى وخز الحسك
ومراحيضٍ على ابوابها كم سراويل تدلّت وتكك
ووجوهٍ يظلمُ الصبحُ لها خيّمَ اليأسُ عليها وبَرك
يا لاجرٍ ناله الشيخ ويا ويح من في اثمهِ اليوم اشترك

ومن معرباته عن قصيدة فرنسوية :

يومٌ في عيدٍ في الجنة

للهِ ربِّ العرش والاكوانِ	فِكرٌ تفوتُ تصورَ الانسانِ
ولقد اتاهُ ذاتَ يومٍ خاطرٌ	رقصت لهُ الجنّاتُ بالسكّانِ
فاقامَ في اسمي قصورِ جنانهِ	عيداً لهُ سجدت ذوو التيجانِ
ودعا اليهِ وهوَ اكرمُ من دعا	غيدَ الفضائلِ زينة العُمرانِ
لكنّهُ ساوى الجميعَ وربما	فاقَ الصغارُ الكُبريَاتِ الشانِ
فسلكن في لطفِ التحيةِ مسلكاً	يزري على النسَماتِ في الاغصانِ
وجميعهنَّ جرينَ جريَ قرائبٍ	وشقائقٍ في طاعةِ الرحمانِ
ونهلنَ كاسات الولاء وقد تبا	دلنَ الحديثَ تبادلَ الاقرانِ
لكنَّ ربَّ القصرِ جلَّ جلالُهُ	اذ كانَ ينظرُ نظرةَ العِرفانِ
لمحَ اثنتينِ كأنما احداهما	لا تعرفُ الاخرى فتأتلفانِ
ولعلمهِ بطريقةِ البشرِ الأُلى	بلغوا من العمرانِ خير مكانِ
مدَّ اليدينِ اليهما متناولاً	يدَّ كلِّ خودٍ منهما ببنانِ
والى اليمينِ اشارَ وهوَ يقول ذي	في الارض تُدعى ربّةَ الاحسانِ
واشار للأخرى وقال وهذه	تُدعى كذلك ربّةَ الشكرانِ
فتفرّسَ الاختانِ كلٌّ منهما	في اختها كتفرّسِ الجيرانِ
اذ منذُ خلقِ اللهِ دنيانا الى	ذا اليومِ لم تتواجهِ الاختانِ

وعن قصيدة للشاعر المشهور اللورد بايرُن وسماها المعرّب .

جناية الحلم

بحقِّ من يا مُنيتي	اعظمَ فيك فتنتي

لا تغضبي فلم تكن جنايتي في يقظتي
نعم حلمتُ انني قد نلت أُقصى بغيتي
وان قلب من أحب هامُ في محبتي
جريمةٌ أثمتها ياويحها جريمتي
لكنها لقد جرت سيدتي في غفلتي
وسوف أقتصُّ من الرُقادِ يا مليكتي
بل فاصفحي عن ذنبهِ فانه وسيلتي
اذ انني لولاهُ منك لم أفز بلمحةِ
ولا حلمتُ بهواك بي وهذا منيتي
أيرتجي هواك صبُّ عاقلٌ في اليقظةِ
وكيف يمتدُّ اليك بصرٌ يا مهجتي؟
ان البكا يشغلني في يقظتي عن نظرتي

...

اليكَ يا ملاكَ رقدتي وراعي مقلتي
ادعو فَثَقِّلْ فوق اجفاني وغيِّبْ فكرتي
وابسُطْ على عينيَّ من جودكَ اهنى نعسةِ
لعلَّ حُلمَ الامس يبدو لي بهذي الليلةِ
للهِ ما ابدع ما اري بتلكَ الخلسةِ
وايُّ مشهدٍ يَبين لي بتلك البغتة
اري بعين الروح ما يُسكرني من دهشتي
لا يستطيع وصفَ غبطتي لسانُ الامةِ

ومنزلٍ سكنتهِ اضحى سماء البُقعةِ
ولا وصولَ للسما ءِ قبلَ يوم النفخةِ
وقيل ان النومَ في الـ حقِ شقيقُ الميتـةِ
فصرتُ من اجلكِ اهـ وى ميتتي او نومتي
عساي أنْ اذوقَ من مرآكِ شبهَ اللذةِ
اذ لَذّةُ اللقاء في سماكِ فوقَ قدرتي

...

اراكِ قد قطّبتِ لي وجهكِ يا اميرتي
كانكِ استعظمتِ لي بلوغَ تلكَ النعمةِ
ان كان ذنبي في منا مي موجباً عقوبتي
رحماكِ حسبي مـا ارى في يقظتي من غصتي
اذ كلّ ما شاهدتُهُ من نعمةٍ وغبطـةِ
ما كان الاّ حُلُماً قد مرَّ مثلَ طرفةِ
ولم افُزْ من حسنهِ الاّ بشبهِ اللمحةِ

...

وقد ترينَ في الذي شرحتهُ من قِصّتي
ما لا يفي جنايةَ جنيتها في غفلتي
أوّاهُ لو علمتِ مـا اشعرُ عنـد هبّتي
منذ غـدا طيفُكِ لا يمرُّ بي في هجعتي
وآ كدري وآلمي وآحسرتي وآوحشتي
حسبي بها عقوبـةً أجزى بها في يقظتي

يا مُنيتي يا رحمتي | يا نعمتي يا جنتي

وقال ابانَ ذبح الارمن في اطنه والتحريض في حلب على مثل ذلك قُبَيل خلع عبد الحميد سنة ١٩٠٩ :

قفْ بالديار وحيِّها | واسأل معاهدَها الوسيمهْ
هل مالَ عنها للسوى | من حبُّها اضحى غريمهْ
يرضي العذابَ بقربها | ويرى الشقا فيها نعيمهْ
صبٌّ وان نُسبتْ الى | حمص منابتُهُ القديمه
فلانتِ يا حلب العُلا | وطنٌ لأسرتهِ الصميمه
مضت القرونُ ولم تزل | بربوعها ابداً مقيمه
حلبُ حماكِ الله من | عين ابن فاجرةٍ اثيمه
يا مسقطَ الرأسِ العزيـ | ـزِ ودرّةَ الحسنِ اليتيمه
يا موطنَ الادبِ الصحيـ | ـحِ ومجمعَ الشيَمِ الكريمه
اهلوكِ خيرُ الناسِ أخـ | ـلاقاً واصدقُهم عزيمه
اهلُ التُقى اهلُ الصلا | حِ وكلّ منقبةٍ وسيمه
وجوارُهمْ خيرُ الجوا | رِ وودُّهم اسنى غنيمه
ما اخلفوا عهداً ولا | خانوا ولا ارتكبوا جريمه
يفديكِ يا حلبُ الكرا | مُ بكلّ ذي قدرٍ وقيمه
افديكِ بالنفسِ العزيـ | ـزة وهي في عيني عظيمه
للهِ منكِ رياضُ حُسـ | ـنٍ نوّرتْ من بعد ديمه
وجنان انسٍ حورُها | وعهودها ليست ذميمه
ورعى الالهُ منازلاً | وحمى جواسقَكِ الفخيمه

ولدي واهلي في ربو عك ثم ارحامي الرحيمة
وذوو ودادي والأُلى نكرانُ ذكرهمِ شتيمة
من كلّ اروعَ ماجدٍ حرّ المودةِ والشكيمه
ومهذّب عاشرتُهُ فحمدتُ منهُ خير شيمه
حُيّيتِ يا حبّ الذما مِ وكلّ مفخرةٍ جسيمه
ادعو لرغدك كلّما ذكَرَ الكرامُ لنا كريمه
واُحبُّ اهلكِ انّهم اهلُ الخلالِ المستقيمه

وقال مداعباً صديقاً اسمهُ خليل مع التضمين والاكتفاء :

اضاعَ عهدي ولكن سرّي غدا في يديهِ
فلم اَلُمْهُ بحرفٍ وقلتُ شوقي اليهِ
في كل حالٍ خليلي يا نارُ كوني عليهِ

ومن تشطيره وهو من شعر الصبا :

قد طالَ بعدُكِ والغرامُ اعلّني والشوق الا عن هواك اضلّني
والصبر من فرط الدلال املّني يا من هواهُ اعزّه واذلّني
كيف السبيلُ الى وصالك دلّني

قلبي عن السلوان اضحى نائما وعلى وصالك بات فكري حائما
لِمْ قد حكمتَ بأن اعذّبَ دائما وتركتني حيرانَ صباً هائما
ارعى النجوم وانت في عيشٍ هني

اجريتَ من عينيّ دمعاً احمرا وكسوتني سقماً ولوناً اصفرا

قد كان عيشي قبلَ حبِّكَ اخضرا   يا ليتني ما قد عرفتُك في الورى

او كنت يا بدر الدجى واصلتني

ومنهُ

وظننتُ عهداً كان أُبرِمَ بيننا   يوهي الوشاةَ وعقدُه لن يوهنا

لكن رأيتُ النكثَ عندك هيِّنا   هبَّ النسيمُ فلتَ والغصنُ انحنى

اينَ اليمينُ واينَ ما عاهدتني

فاذا صبرتْ فان صبري مُهلكي   واذا بكيتُ فما مرادي مُدركي

وأراكَ قد صدَّقتَ عني ما حُكي   فلاقعدنَّ على الطريق واشتكي

في زيِّ مظلومٍ وانت ظلمتني

واقولُ هذا الريمُ يا اهل الحجى   تخذَ الخديعةَ في المحبةِ منهجا

ولأكثرنَّ بصدِّكَ المرَّ الهجا   ولادعونَّ عليكَ في غسقِ الدجى

يُبليكَ ربي مثلما ابليتني

ومن موشحاته في وصف الشؤون الطبيعية والاخلاق والتأريخ والعلم وهو مما نشر في مجلة الضياء :

شباب الربيع

عندما النورُ تدلّى كالسجوفْ   ورمتْ ذراتُهُ قلبَ الظلامْ

وعرا البدر اكمدادٌ كالخسوفْ   ونسيمُ الفجر نادى للقيامْ

نهض السائح يعدو للسفرْ

ولنيسانَ نشاطٌ وجمالْ   ليس يحكيهِ سوى عصرِ الشبابْ

وسهولُ الدرب مع تلك التلال   اصبحت من نبتِها تحت نقابْ

لم يدرْ في وشيهِ فكرُ بشرْ

تجري صاحبنا دونَ الحَبَبِ حائراً من حسن هاتيك النقوشْ
قال ما هذا أَدُرٌّ ام ذهب ام لآلٍ نُثرت فوق عروش
ام نجومٌ ام ندىً مثل المطرْ

وهو بينا يقطعُ السهلَ الفسيح قد حكى بحراً تبدّت خضرتُهْ
نفحت ريحٌ بها ارواحُ شيح ماجَ منها النبتُ تزهو نَضرتُهْ
فهو موجُ النبتِ يجلى للبصرْ

وعلى تلك الرُبى النورُ استبانْ بعدما اردية الليلِ انطوتْ
مذعروسُ الكون بل حسنُ الزمان ربّةُ النورِ على العرشِ استوت
وغدت تسحبُ اذيالَ الخفَرْ

عند هذا الارضُ ضجّت بالدعاءْ الجالي حسنها فملّ شكورْ
وغدت ناشرةً نحو العلاءْ من بُخارِ الماء ما يحكي البخور
وتلت ازهارُها الحمدَ سُوَرْ

ومنهُ

ما الذّ العيشَ عيشَ المرءِ في بُقعةٍ قد جمعت كل الجمالْ
من جبالٍ مآدرها من قرقفٍ ومروج ورياضٍ ودغال
واذا اشتى الى وادٍ نَفَرْ

ونُعيجاتٍ لهُ من سمنها وإياها خيرُ مطعومٍ مُقيتْ
ودُجاجاتٍ يرى في كنّها كل يومٍ طارفَ البيضِ شتيت
واذا ما شاقهُ اللحمُ نَحَرْ

ونباتاتٍ له في زرعها بغيةُ العاملِ للربحِ الصريح

ولهُ من بعدِ ذا في قطعها لذّةُ الآكل ذي الجسم الصحيح
ناعم البالِ خلياً من كدرْ

لا يرى ايّانَ ما سادَ حسودْ يظهرُ الودَّ على بغضٍ كمينْ
او لئيمَ الطبع مكّاراً كنود يتحامى شرهُ في كل حين
او عدواً او كذوباً محتقَرْ

او جهولاً ساحباً ذيل الغرورْ يحسَبُ الدنيا لهُ قد خُلقتْ
يتباهى بفسادٍ وفجور زاعماً قريتهُ قد رُزقت
من ذكا افكارهِ علم البشَرْ

أو نظامَ الشمسِ مملوكاً رقيقْ ما لهُ شغلٌ سوى خدمتهِ
فهيَ لا تطلعُ الا اذ يُفيق والدراري قُمنَ في رقدتهِ
سُرُجاً تُطفأ اذا الصبحُ انفجرْ

او كأن الكهربا قد قُدحتْ عن بريقٍ لاح من ضوءِ سناه
وتمنى إيدِسُنْ لو سنحت لسما آرآئهِ فيما اتاه
خطَراتٌ منهُ مرّت بالفِكَرْ

او كأنّ الجذبُ قد افضى الى علمهِ بالسرِّ دونَ العالمينْ
او كأنّ الكيميا وقفُ على حدسه اذ حلّ لغزَ الاقدمين
فاحالَ الصُفْرَ تبراً مُختبرْ

ومنهُ

ورأى من خلفه دارا يسيرْ بجيوشٍ ملأت تلك الجهاتْ
يحسبُ النصر مع الجمع الكبير لم يدُرْ في فكره انّ الثبات
وصوابَ الرأيِ عُنوانُ الظفَرْ

ومنهُ

مذ رأى اليونانُ من تلك الجبالْ فيلق الفُرْس تصدّى للصعودْ
رشقوهُ بحجارٍ ونِبالْ فبدا الرُعْبُ بهاتيك الجنودْ
وفريقٌ بفريقٍ قد عثَرْ
ثم قامَ الهَرْجُ واشتدَّ الجلادْ وعلا العجُّ الى السبع الطِباقْ
وملا النقعُ الفيافي والنجادْ ومجالُ الدفعِ بين الفُرسِ ضاقْ
فرأوا إدبارَهم رأسَ الحذَرْ

ومنهُ

فاذا بالبحر قد بان لهُ ما الهُ في الارض من شبهٍ عظيمْ
وباقصاهُ بدا ما هالَهُ اذ رأى الشمس لها وجهٌ سقيمْ
تستغيثُ الخالقَ في دفعِ الخطرْ
ورآها هبطَتْ فوقَ العُباب مثلَ عُصفورٍ امامَ الافعُوانْ
ثمَّ عجَّ الموجُ يعلو كالهضابْ لابتلاع الشمسِ في بضعِ ثوانْ
يا لَبُركانٍ ببحرٍ قد فغَرْ

وقال

إنْ يحِنْ يومُ مماتي التقيهِ بثباتي
صادق البأس قويّ الـ ـجأشِ عند النائباتِ
ذقتُ من لذّاتِ دهري كلَّ انواعِ الهباتِ
انْ تسُؤْ منهُ فمالهْ كم لهُ من حسناتِ
كلُّ ما بي من حميدٍ وشعورٍ وصفاتِ
خالدٌ اودعتُـهُ في كلِّ نفسٍ من بناتي

كنتُ فوقَ الارض روحاً ساكناً هيكلَ ذاتي
فيهِ تبدو سكناتي وهو يجلي حركاتي
فتضاعفتُ فروحي هي في خمس بناتي
بل لكلٍ مثل روحي وهي حسنُ الكائناتِ
فحياتي في بناتي ان يحنْ يومُ مماتي
سنة ١٩١٨

ومما نظمهُ في دمشق وبعث به الى حلب يتشوقُ ويعرّض ببعض الكبراء فيها وسماها

الشامية

ان صدّ طيفكُمُ او شطّتِ الدارُ فالصبُ يكفيهِ بعدَ البعدِ تذكارُ
قد كانَ يؤنسني منكم خيالُ كرى فادركتهُ من الحسّادِ انظارُ
فاعتضتُ منهُ بذكرٍ غيرِ مفترق من دونهِ حُجُبٌ عندي واستارُ
يُقيمُ لي كلَّ وقتٍ من جمالِكُمُ عوالماً كلها حسنٌ وانوار
يجرّدُ الذهنُ منها كلَّ فاتنةٍ يضيقُ عن وصفها لفظٌ واشعار
تمثّلُ العينُ منها آيةَ عجزت عن أن يُحيط بها عقلٌ وافكار
في كلِ وقتٍ بسمعي نغمةُ الكُمُ ما أن يُشابهها لحنٌ واوتار
وطولَ يومي اناجيكم كأنكُمُ في بؤبؤ العين سُكانٌ وزوّارُ
وليسَ يوحشني ما دامَ يؤنسني تُذكاركمْ وطنٌ يوماً ولا جار

ومنها

امدُّ طرفيَ نحو الجوِّ ابصرُ ما يلَذُ حتى كأنَّ الجوَّ سحّارُ
فلا ارى غيرَكم في الكون اجمعهِ ولا سوى قربكم للقلب اوطارُ

هذي حياتي اقضّيها وذكركم ... تفيض لي منه لذّات واسرار
يردّني نحو ايام لنا سلفت ... كان امثال ذاك العهد اشبار
ولا ارى غير جنّات نطوف بها ... وفوق اغصانها تفترّ اطيار

ومنها

ان دجا الليل عندي شبه حسنكم ... كواكب تنجلي فيه واقمار
ارى ربيع شبابي غير منفصل ... فكل عامي نيسان وايار
وكل ما بي روح غير مفترق ... عنكم وكلّي اسماع وابصار

ومنها

اذا تأمّلت في ذا الخلق حيّرني ... في قسمة الحظّ اقبال وادبار
وقولهم ليس في الامكان ابدع من ... ما كان هل في علا اهل النهى عار

ومنها

في كل يوم لاهل الكذب شعوذة ... تسود فيها على الاخيار اشرار
كانما نعم الدنيا غدت سلباً ... ينالها في الورى لص ومكّار
من اقدم الدهر شر الناس يحكمهم ... الاّ قليل لهم في الخير اثار
اذا شكا الجور اهل الفضل غالطهم ... عصابة علمها زور وانكار
وان فشا الظلم كان الجهل خادمه ... والظالمون لهم رهط وانصار
والفضل انصاره في الارض ما فتئوا ... هم القليلون ان تصدقك اخبار

ومنها

ما بال مقتحم العلياء مرتعد ... يوم الشهادة والاظهار اضمار
أعاجز وجبان يوم تزكية ... وفارس يوم زور القول مغوار
لئن صبرت على قوم اذا لهم ... عمى الزمان فللايام ادوار

ليسمعنّ عُداةُ الفضل من نَفَسي رعداً اذا عاينوا ابراقَهُ طاروا
وعزيات اذا ما قتُ انشرُهـا عنهم تضيقُ بها صحفٌ واسفارُ

ومنها

أعززْ على الفضل ان يُمسي وناصرهُ قوم اذا استنجدوا يوم الوغى خاروا
أعززْ على المجد ان يُمسي واربعهُ مراتعاً سامها دونٌ ومهـذارُ

ومنها

سقت عهادُ الرضى الفيحاء ما نضجت بها لاهل الحجى والفضل اثمـارُ
بيض الوجوه ببرج المجد قد طلعوا وعندهم لذوي الاقدار اقـدارُ
لولا الأُلى ملكوا روحي لما رضيت بالبين نفسي ولا الشهباء لي دار
حتى يحوزَ نصابَ المجد افضلُنـا ويعتلي صهوةَ العلياء مغوار

سنة ١٩٢٠

ومن اخوانياته وكتب بها الى صديق انقطع عن زيارته لخشونـة بدت من خادم اسمه حبيب :

أين ذنبي اذا اساء الحبيبُ وعلى م الهجران ياذا الاريبُ
خادمٌ صاغهُ المهيمنُ فظـاً اين منهُ التأهيلُ والترحيبُ
جاهلٌ قد اساء منك اعتذارا انا عن ذنبهِ اليك اتوب
كنت ارجو أنّ المحبة تمحو الف عيب وان تُقالَ الذنوب
ذاك شرع الهوى وانت إمـامٌ ليس يخفى عليك منهُ مغيبُ
عدْ وزُر مخلصاً عليل اشتياق مثل ذا الوقت لايغيب الطبيبُ

وكتب الى صديقهِ احمد زكي باشا العلامة الاديب المشهور يداعبهُ عند

زيارته القاهرة سنة ١٩٢٠

اصحابنا في مصر قد ضيّعوا   اصحابهم واستصحبوا الذكرى
سألتُ عنهم واحداً واحداً   فنلتُ عنهم احسن البشرى
كأنهم قد حسبوا السعي في   جمع الثراء الغاية الكبرى
وضمنوا ان نلتقي بعدها   للانس في الموعودة الاخرى

ومما كتبهُ على صورته

رسومنا تفنى واجسامنا   تبلى وهذي سنّةُ الكون
وليس يبقى غيرُ اثارنا   مَن لي باثار بها صوني

وقد تجاوزنا بهذه الترجمة الحد الذي قطعناه على نفسنا بالاختصار ، ولكننا نزلنا عند الحاح بل حكم بعض الاخوان الافاضل ولله درّ القائل

وعين الرضى عن كلّ عيبٍ كليلة   كما انّ عين السخط تبدي المساويا

تم

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٣	٢	مقدما	مقدّماً
٦	٢	المومى اليه	المومأ اليه
٨	٢	في وت	في بيروت
٨	٨	ردى	درى
٨	١٨	ترجمة	تعريب
١٣	٧	يعني	يعنى
١٤	٩	اجرى	احرى
١٦	٧	تبختره وآزه	تبختّرْ وأزهُ
١٦	٧	فاضرّ	فاضرّ
١٦	١٢	اليها	اليهما
١٦	١٧	يلاقي	ويلاقي
١٧	٢	دعما	عمادُه
١٧	٨	بالانقباص	بالانقباض
٢١	٤	خرجب	خرجت
٢٣	١١	الواحدة	الوحدة
٢٣	١٦	هداةُ	هداةَ
٢٤	١٩	وغيرها ولا	وغيرها شيئاً ولا
٢٥	٥	وعكفهِ	وعكوفهِ

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٣٩	٧	بعدهم	بِعدِهم
٤٠	٨	المعاسرة	المعاشرة
٤٥	٩	يكان	...
٤٨	٦	عونا	عن
٥٤	٣	تيزك	نَيزكٌ
٥٦	١٧	يتثني	ينثني
٥٧	١٦	نسجب	نسجت
٦٦	٨	والمثال	والمثالث
٧٧	١٢	سير	سَيَر
٧٧	٢٠	مصر	مصرا
٨٠	١	خيال	خيالي
٨٠	١٤	السماء	اسماء
٨٧	٢١	بالناء	بالنآي
٩٥	١٨	١٩٨٨	١٩١٨
٩٩	٤	مق	متى
١٠٢	١٢	٩٢٠	١٩٢٠
١٠٦	٣	الروّس	الروّاس
«	١٣	قام	اقام
١١٢	١	السحر	السَحَر
«	١٤	لاَ	الاّ
١٢٤	٧	نظيمي	نظمي

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٢٦	٩	بطانفة	بطانفةٍ
١٣٢	٤	التيهَ	التيهُ
١٣٩	١٠	فذلك	فذلكَ
١٤١	١٦	المجد	بالمجد
١٤٢	٥	يراها	براها
١٥٠	٩	الوءآة	الوفآء
١٥٣	١٩	الرجل داهيةومثلهُ	وقالوا ان الرجل داهية ومثلكم الخ
١٥٤	٥	من نور اعلى	من نور اجلى
١٥٨	١٤	فنزع سترَ	فانزعْ سترَ رأسك
١٥٩	٩	ولغوب	او لغوب
١٦١	١٦	اقبية	اقبية
١٦٥	١٤	الهيوم	الهموم
١٦٦	١٠	ذاكراة	ذاكرةٌ
١٦٦	١٣	ام ناسيةٌ	ام انت ناسيةٌ
١٦٩	٢١	جيلٌ	خيلٌ
١٧١	١٧	*veus*	*veux*
١٧٨	١٧	فافتفاهم	فاقتفاهم
١٨١	٥	اسمي	اسمى
١٨١	٥	التجان	التيجان
١٩٠	١٨	تُذكاركم	تَذكارُكم